محمد المزيني

نكهة أُنثى مُحَرَّمة

(إلى الحبيبة الأولى.. الأخيرة.. برغم الخوف)
رسائلها.. رسائله

رواية

دار بسمة للنشر الالكتروني

نكهة أنثى محرمة

اسم الكتاب: نكهة أنثى محرّمة (إلى الحبيبة الأولى.. الأخيرة.. برغم الخوف) رسائلها.. رسائله

اسم الكاتب: محمد المزيني

نوع العمل: رواية

الرقم الدولي EBIN: 16-1-295-231226

الناشر: دار بسمة للنشر الإلكتروني

الطبعة الأولى: 2024م / 1445هـ

للتواصل مع المؤلف: M.almoz2020@gmail.com

الهاتف: +966554231227

دار بسمة للنشر الإلكتروني

00212771814934

داربسمة للنشر الإلكتروني (المغرب)

Darbassma1@gmail.com

المملكة المغربية

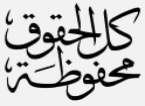

دار بسمة للنشر الإلكتروني تُقدم جميع خدمات النشر، ولا تتحمّل أي مسؤولية تجاه المحتوى، إذ إن الكاتب وحده هو المسؤول عن نتاج فكره.. كما لا يجوز بأيّ صورة نشر أو إعادة طبع أي جزء من هَذَا الكتاب أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله عَلَى أي نحو كَانَ، أو بأيّ طريقة سواء كَانَت إلكترونية أو بالتصوير أو خلاف ذلك، إلاّ بموافقة خطية من الناشر أو المؤلف. ©

نكهة أنثى محرمة

إلى الحبيبة الأولى.. الأخيرة.. برغم الخوف

رسائلها.. رسائله

رواية

محمد المزيني

دار البسمة للنشر الإلكتروني

بسم الله الرحمن الرحيم

النبوءة الأولى

جاءت ساعة النبوءة الأولى.. كانت تشير إلى الثالثة والنصف من بداية ميلاد حبنا الأول.. مذ ذاك نسيت هطول النوم واستفزازات الصحو عند الصباح.

اندس الحب في قلبينا كمارق عتيد لم يأبه بالجنود المنتشرين خلف الأبواب.. جاء كي يزرع في ثغور الأطفال الصغار ضحكات لا تنضب ويشتت بقايا النوم البائت.. كيف لم أكن أراهم قبلًا يتقافزون على قارعة الطريق، وهم يحملون حقائبهم المدرسية محدودبي الظهور.. (يااااااه.. الآن جاءتني صورتك كمنبه صباحي.. كأنك توقظين الصبح الغافي خلف سحب قاتمة، تعلقين في الأفق قناديل تحمل ضياءً له رائحة ملائكية.

كانت بمثابة إعلان مصالحة.. هدنة أبدية بين الشياطين والملائكة.. وهذا سر عظمة حبنا الذي جاء كي ينخر ذاكرتي

المعشوشبة على ظمأ سنين عجاف.. ويهز أبواب قلبي المُزَنَّر بأقفال صدئة.. اليوم تساقط مني بكاء كانهمار سحابة سوداء..

كان صوتك يا (وسن) هو الذي تناسل مع تكات الساعة الثالثة والنصف فجرًا.. استفز جنوحي للبوح ورغبتي بالهذيان.. كنا أولجنا النهار بالليل.. وكوَّرنا نجوم الشهادة الأولى للاختبار الأول..

ركَّبنا ألعابنا الصغيرة من حروف متكسرة.. حتى تلاشت أصواتنا عند تخوم حشرجة لذيذة.. ما إن رحلت حتى اتقدت نار اللهفة.. وهزت نشوة العبارات الوردية المتدثرة بقلمي الصقيل.. رشقت حبره ألف مرة كي يستفرغ مكنون العبارة..

يا لك من ساحرة توغرين أحبار الأقلام للكتابة مع شيء من (الدوخان).. كنت قلت بنغمة متكسرة تفوح اشتياقًا وولهًا:

– اكتب.

قلت:

– ماذا أكتب؟

قلت:

- اكتبني!

كتبت حتى ملَّت أقدام الحكايات الوقوف على ناصية الانتظار..

ما أجمل الليل! الليل من اكتشافاتك أنت، لقد أسرجنا ليلنا بأحاديث لا تنتهي عبر خطوط التوصل الساخنة.. تأكدت موهبتك الفذة في تنضيد الكلمات بلا ارتباك أو تلعثم.. كنت أقول وتضحكين.. كيف بنا لو تلامست أطرافنا..

فتجيبين: حتمًا ستمطرنا سحائب شوق لا تنضب..

حبيبتي لقد أقحمتني بحرًا لجيًّا لا أجيد السباحة فيه. ظللت أتحسسك بين أهدابي، في بؤبؤ عيني.. في مساماتي تنبتين.. أبصر رائحتك تتلوى بين أصابعي.. آه منك.. كانت عروقي تتغذى منك وبك.. أتعذب بشوقي الدائم إليك. في البدء كنت أتمنى غرس عيني في جبينك المضرج بقبلات ملائكة السماء، لأني صدقتك يوم قلت لي ذات مساء: إن الملائكة تقبل المؤمنين في

الجبين، لأنها منبر الضياء.. هل تذكرين ذلك المساء الذي مل انتظارنا.. حيث تواعدنا.. كان طريق (خريص) يغص بضجيج السيارات وأنفاس السائقين وأعينهم المرهقة.. وحدي كنت أقفز داخل السيارة باحتمالية تشكلها كالمنطاد، فتقفز بي إليك قبل أن يرتد طرف المساء الرياضي الممل، لأدلف نحوك بما تتسع له الأرصفة الفقيرة من خطوات العابرين، حيث تكونين بانتظار مذعور وريبة.. تذرع عيناك ممرات (الكوفي شوب).. تفركين يديك، وتطقطقين أصابعك بعين شاخصة ووجه يتغضن من الخوف، وأناملك تنتح قلقها من أزرار المحمول.. هذا بالضبط ما شنجني وأفقدني حيلتي وهرب صبري.

كنت كالمقعد على كرسي متحرك متحينًا الفرصة.. فرصة مراهق يقود السيارة للمرة الثالثة يراوغ في الزحام بانتشاء عارم. كنت أتوخى الخلاص من أي مفرق أصادفه.. مرة ذات اليمين وأخرى ذات الشمال.. لم أصدق وأنا أهوي بجسد يترنح من قشعريرة اللقاء الأول المرتقب أن ذلك الفيض النوراني المشع قبالتي هو وجهك.. حينها أغرقتني برودة لزجة.. تحديدًا وأنا أسكن يدي في يدك ونمضي كعروسين في زفة عتيدة. هل تذكرين

عبارتك الأولى؟ لم تتورعي عن الاعتراف بالذنب، وهذه إحدى فضائلك: قلت لي:

– الخيانات الصغيرة كفراشات الليل تموت في سرها قبل بزوغ النهار، وها نحن أعظم خائنين صغيرين.. لحظتها تبعثرت عبارة كنت جهزتها فوق لساني، لا أدري كيف؟ شعاع ضياء وجهك بتر حبالي الصوتية.. ولساني أمسى مقفرًا ساعة انبلج سر إبداع الخالق.. أبصرته باحتفالية، تمنيت حينها لو أتمطى بحرية أقايس عروق حمرة الشفق في وجنتيك وأطبع قبلة الصلاة الأولى. أرتشف رحيق عجينتك المفخخة بعطرك المخيم في المكان.. كم كنت أتمنى ألا ترتفع وتيرة التوق داخلي فيفتضح أمري.. ألا يندمل ثغرك على رغوة من بقايا قبلة أولى طازجة. تركتك تشتتين ارتباكك.. انتظرتك كي تمارسي هوايتك للكلام.. يا لك من متحدثة! حتى صمتك يضج بحديث مسموع.. كانت عيناي مستلقيتين أمام شفتيك تعد حركاتهما حتى المضمرة منها.. كانت رجفة اللمسة الأولى ومسحة النزق البكر مبعث آهة فطرية ذات جلال.. هناك وُلد المساء.. في الركن المغمى عن الأعين المتلصصة.. حيث المكان المقدس لديك.. هناك تطلبين قهوتك اللاذعة بطعم الهال.. أجهش

الشوق في قلبينا.. كم كانت عروقي تتلمظ أن تغرف غرفتها المحرمة من ينابيع ذبولك.. توالدت رغبتنا في الخروج من دائرة الوقت وحيز المكان في لحظة لا تحسب إلى أي شيء.. لا تلمس.. لا تحس.. لا ترى.. تمامًا مثلما يفعل الطفل حينما يلقم ثدي أمه للوهلة الأولى.. من يفهم قصده؟ من يدرك لذته؟ من يحسه؟ حتمًا لا أحد.. لا أحد.

كذلك كنا نهصر مسحوق الغواية العجيب الرائب في ثغرينا.. حتى انسرب الوقت من محرقتنا المقدسة.. لا ندري كيف؟ كان صوت النادل يقرع آذاننا بعنف.. أخرجنا من غوايتنا ليعود إلى وجهك لامعًا كبلورة ساحر. وعيناك كبوصلتين للزمان والمكان.. بعدما أغدقت عليك من قلبي المنتهض للاتصال بك والتلاحم بروعتك وفتنتك.. سحائب منذرة بهطول ماء التكوين. كنا افتتحنا اللقاء بنظرات متبتلة وختمناه بنظرات مسبحة، تأوهت منها عظامنا حتى اغتسلنا بنقائنا وطهرنا.. تركت لك أنفاسي ورحلت أطوق رائحتك بين أحضاني كباقة ورود.

لم ندرِ كيف تلاشت عباراتنا.. طارت كأوراق محترقة تبعثرت هباءً منثورًا.. هل انقضى الوقت.. رأيتك تتبخرين.. تتلاشين كعطر فاضح، لا ينفك يوزع الوشاية بأن ثمة أنثى باذخة الجمال والغواية.. هكذا لملمت وراءك كل شيء ورحلت!!

sms

حبيبي أشتهي قهوتك.. تورطت بك.. ودي أكرهك!!

جبروت

كنت قبلك أبحث عن غوايات صغيرة أهربها من أجساد الستر وعباءات الحشمة مجانًا!

كان عنادي ملتئمًا على محاولة اقتطاف آهة نشوانة سريعة الذبول ناجزة للوأد.. صوتك العذب أسكرني، وارتطامي المتكرر بحزنك الرقيق المتفشي بعباراتك المتقطعة هشَّما حدة نزقي..

نفدت كل طرائق الحيلة للوصول إلى حالة العبث اليسير حتى حزنك موغل بالتطرف، يا له من جبروت! جبروت يرخي حنجرتك ويداهم نشوة روحي.. أول عبارة غزل قلتها بجرأة متلكئة شيئًا ما:

- كتبتني مثل قصيدة بلا قافية.. ورسمتك مثل لوحة ترى من كل الجهات.

هل تذكرين؟

ساقني صمتك إلى زلفة أخرى قربت خطواتي إليك..
قلت يومها أيضًا:

- لقد أحدثت زلزال نشوة من نوع ما.
- قصدك أحدثت نشوة متلهفة للبوح.. هههه.

كنتِ تدعسين على مكمن متعتي بك وعذابي أيضًا..
تصطادين أفكاري كعصافير جائعة تقع فوق كل شيء فيسهل اصطيادها..

لم تتوانيْ لحظة في قطف عناقيد عنب أثقلت أغصانها..
وقد هدرنا بأحاديث متكسرة.. خلطناها بمعدني الروح والجسد.. مزجناهما مزجًا يماهي خلق الله أو هو ذاته.. خلق أودع في حرز فطري مكين.. في ليالٍ أُخر.

كم كنت تلحين دائمًا على الذوبان.. تتوخين قلبًا مشرئبًا بارتعادات متوالية..

ها أنت بت تعشقين المرايا أكثر من ذي قبل، لا لتري فيها نفسك، بل تتلمسين تقاسيم وجهي مندسة في جبينك..

وجنتيك.. ابتسامتك.. تقفين عندها للتأمل.. قلت لك كم هي جميلة! فهي تذكرني بارتباكك اللذيذ أمام غلواء مخاوفنا..

كل شيء يربطني تلقائيًّا بك، حتى إشارات المرور أيضًا تمنحني الفرصة لكتابة رسالة قصيرة لك.. لقد ارتبطت بنا مباشرة، بلقاءاتنا، المتكررة بتوقنا..

سيدة الديتيلز هل تذكرين؟ يغريك هذا الاسم الحركي الجديد، صرت أناديك به حيث التفاصيل التي تنبجس عن روعتك.. هنا يكمن سر تكدسك بكل الأشياء الدقيقة.. حتى حالة فورانك وأنت ترتكسين في استعراض فاحص ومتأنٍّ لكل أشيائك الدقيقة..

(الديتيلز) لا تبرحينها حتى تفرغي منها تمامًا.. كم كان يقززك الطرق المصنعي لمشاعر الأنثى.. ارتقاء الجسد الخاطف يقرفك أيضًا.. يعجل بموتك.. ابتسار اللحظة يحولك إلى شيء منتهك..

حبيبتي انغماسي بك و(بديتيلزك) منحني وسامًا ذهبيًّا لامعًا ولا مرئيًّا أطوق به رقبتي.. قلت لي: أنت المحمية الأخيرة التي

ألوذ بها كهاربة عن أعين المتوجسين.. الشكاكين.. لن يعثروا علينا ما دمنا نخبئ تعاويذنا في أزقتنا.. نهربها داخل منعطفات هذا العمر المجيد بي وبك.. الأزقة تلك التي خلقتنا من جديد وصورتنا في أحسن تكوين..

رحلتنا التي أنجزناها في غضون شهر كانت عظيمة.. بمثابة رحلة تطهير.. فقدنا فيها حتى أحذية الكلام فمشينا صهد قائلة العشق حفاة.. لا نتخبط بين الجهات.. فجهاتنا عيوننا، فأينما نولي فثم وجهك ووجهي.

في المساء الأخير المتمم للثلاثين.. قلت لك بصوت مستهام متلعثم:

– وسن.. أريد أن أتخلق بك..

أججت كل العواصف المخبوءة بصوتك.. قلت باستفزاز غير اعتيادي:

– آه.. حبيبي.. ليس دوننا سوى الموت.

لو كان بيدي لقشرنا كل ملامحنا وعجناها في إناء فخاري.. ثم لبسناها من جديد.

– لنعبق برائحتنا.

ونتغلغل في مسامات جسدينا..

– هل ستثقين بي؟ هل ستمنحينني حرية الاندثار بروحك المسجورة بي؟

– تريد أن تغوص؟! سألتني..

– وهل لعنفوان الحب من حدود؟ أجبتها..

– أترى.. يمكن لقوة الارتطام بدمائنا أن تحدث شقوقًا تسرب ضوءنا.

– شوقي إليك بات مثل حصان جامح تغريه المسافات العميقة، فتوقه للوثوب لا يعادله إلا الصهيل.

– لن أدعك تختبر حجم شوقي للوثوب والركض عبر المسافات الطويلة.. فأنا معك بجاهزية كاملة للسباق.. فجرد صهيل خيلك يا حبيبي صاهلًا نحو الأقصى المبارك من مضمارنا الحر. ألا تخافين أن يقبض علينا حارس مهجع المدينة ويفشي سرنا؟

– لا حبيبتي حتمًا سنعود مظفرين ومزهوين بنشوة انتصار يا وسن.. سأكون سليمانك.. وكوني بلقيسي.. لن أطلب منك أن تلملمي أطراف ثوبك كي تلجين قداسي، ولن أنحني خاضعًا ذليلًا كي أنال مغفرتك.. بل سنجتاز كل الأسلاك الشائكة قفزًا بصهيل خيول جامحة.. اتفقنا؟ اتفقنا..

sms

علمني كيف تؤثث الأنثى بالأنثى.. هكذا ببساطة!

ممارسات شهية

كم تدوخني ممارستك الشهية الفريدة وأنت تغمسين أصابع التويكس بكأس النسكافيه.. قلت اليوم لي رغبة أن أضعك فوق لساني كقالب سكر، أن أقطع بك كل المسافات دونما تعاريج أو التفافات.. بي توق عظيم أحرك كل مكنوناتك لأصل بك إلى عمق البوح، وبعبارات فطرية لا يرف منها عينك ترددًا أو حياءً.. أما أنا يا سيدتي الطرية سأنفح حزمة من أسراري.. سأترك لانهمار مشاعري حرية التعبير.. وبأنفاسي المتجمرة سأحدثك عن الحياة والناس وحتى مغامراتي الساذجة، كي أفرغ كل ما أواربه عنك لأبدو نقيًّا مفرغًا من كل الخبايا، سأكون لك دفترا مفتوحا ولك حرية كتابة ما تشائين حتى وإن فاضت مآقينا بالدموع وغصت حلوقنا بالشهقات.. شهقات الجوى المدنف..

اعتداء

يوم رأيتك مرة ثانية كان صدغك وأنت تزيحين نقابك المطرز بالكريستال متورمًا باحمرار الشفق المائل للمغيب.. كانت تنأى عنه كل تباشير فرحة اللقاء بك، وتغرب عنه سكينته وينقشع صفاؤه.. إبان شهر فائت كنت ترممين جسدك.. تقشرين عنه بأشعة الليزر بقايا الضرب الماثلة بدكنة بشعة فوق أجزاء متفرقة منه.. هل تذكرين مساءنا ذاك؟ كانت مفارق أسنانك لا تزال مغشية بخيوط دماء.. وشفتاك اللذيذتان مشوهتين، لم توارهما ذاكرة القبل أو ابتسامات النشوة.. انتهى كل شيء سُحق تحت يديه الصلفتين..

شهادة وسن

كنت أتحاشى مجاراة فظاظته الدائمة.. أداري صوته الراجف في كل مكان طلبًا للأمن من تربصاته، لم يعجبه سكوتي؛ بحث عن دافع يجير لصالحه وقتما يتوجه نحو صدغي بالصفعة الاستفتاحية، ويسحبني من شعري كالمعتوه لأبطأ بجسدي الصغير بلاطات الصالة الرخامية، كي يدهسني بقدمه.. قلت لأبي ألف مرة هذا مجنون لا أريده.. أرجوك خلصني منه قبل أن يقتلني أو أتورط معه بأبناء سيئين من ظهره النتن! ويردد الوالد الجليل أسطوانته المشروخة وكأنه يذكر الله في ساعة عبادة.. البنات ما هم إلا أزواجهن.. احتسبي عند الله.. كيف أحتسب؟! قهره لي دون سبب، وسحق آدميتي بلا مبرر!! فكرت ألف مرة أن أرفع شكوى ضده للمحكمة، فعدلت عن ذلك بحسب نصيحة صديقتي ضحى.. حذرتني من الولوج في متاهات أروقة المحاكم؛ لأنها ستنتهي لصالح الزوج حتما.. كما حدث لها بالضبط، مع إضافة أخرى صغيرة ستُضاف إلى

السجل الشخصي.. فضيحة ستُدار بين الألسن كفرقعة لوز لذيذة. لن تفي أسباب الطلاق بأجندة القاضي الطويلة، هل سأخبره عن تعاطيه المخدرات؟ هل أكشف له ممارساته غير الأخلاقية مع أخريات وآخرين؟ هل أدس في أذن القاضي معلومات أكيدة عن كفره؟ أنه لا يعترف بالله.. حتمًا سيأتي حاملًا مصحفًا وسجادة صلاة وخمسين شاهدًا.. فاسقًا مرتزقًا دفع لهم مقدمًا..

وجع

بت محاصرة بين القاضي والسجان وأب يتلهف لملء حساباته بمقايضة رخيصة منه..

حبيبتي لم تتورع عيني من مشاركتك البكاء.

كنت بين الفينة تهزين رأسك استشعارًا ببلوغ الجرح أعمقه.. ليستشيط شعرك متماوجًا على مفرق رأسك كعلامة إخفاق متكررة في حياتك. أرمقك وأنت تردفينه براحتك وكأنك تسكتين به انتثار روحك المطحونة.. كانت حكايات تيك الليلة الفجة مسجرة ببكاء ولطخات متفرقة من النشيج.. لأواسيك قلت لك:

– أنا مثلك أقاربك الألم أتيتك مرتويًا بخيبات كثيرة.. بيد أني لم ألتصق بالبكاء كحلزون مائي؛ بل ارتفعت طافيًا فوق لزوجة الخدر في عتمة ذلك المساء الكئيب الذي باركنا باستحضار الوجع، رتبنا أوراق الماضي الدامية فانفتق نزيفي

الذي خلته غِيض منذ زمن بعيد.. لقد أسرجت خيول الحزن من جديد حينما رأيت لثغة الليل متجللة بصوتك المتهدج.. وبكيت يا حبيبتي.. ربما لم تسمعي بكائي.. قلت لك ما بال الدمعة تتوقف كحارس مرمى وسط العين.. مثل وشم قديم لعلها كذلك.. أراها واجمة فوق الجفن ببرود في مرآتي.. في صورتي التي التقطها موظف الأحوال المدنية عنوة كعلامة فارقة لميلاد الحزن.. فلم تسقط حتى بكيت وأبكيتك تلك الليلة المشهودة برقائق العذاب.. فجرنا معًا صهاريج المعاناة عن وجنة الصبح القادم حاملًا بواكير ميلاد جديد. لم يتوقف هدير صدرك وجيشان عينيك حتى حطمنا أصنام الوهم واجتثثنا جذور الخوف والتردد، تلك الماثلة في روحك كشاخص يمثل كآبة من نوع ما.. كان أولها أباك الذي أمرج عليك حياتك وعسفك على ما تكرهين، مقتاتًا كعراب ليل من جسدك الطاهر حطام دنيا زائلة، قدمك غواية لأقرب متلمظ لامتطاء جسدك مقابل حفنة نقود.. واشتراك رجل مأفون؛ أبأس عليك حياتك بثمن بخس دراهم معدودة وكان فيك من الزاهدين.. هل تذكرين كيف قدمت الرؤوس مطأطئة كي تنالي شهادة خلاص موثقة.. فكان ذلك الخلاص مثل عملية جراحية استؤصلت خلالها

روحك.. أو تشبه ولادة متعسرة خسرتك رحمًا معدًّا لتنشق منه الحياة.. قرارك بحذف متطلبات الجسد من قائمة خياراتك اليومية كان يولد لديك استشعارًا ذاتيًّا يعزز وجودك.. كلفني وقتًا طويلًا لاستعادتك.. كانت بمثابة ملفات مفقودة داخل ذاكرة مزدحمة بأشياء كثيرة وهذا ما صعب مهمتي لانتزاعك من هوة أخرى في حياتك.. في لقائنا الأربعين من عمر العذاب كنت هزيلة، تقلم وجهك خطوط شيخوخة مفتعلة.. حتى ابتسامتك كانت تمتح الأرق.. قلت لك:

– وسن.

– عيون وسن.

– ألم يئن الوقت للإقلاع عن تناول (السينوكوان) العقَّار المضاد للاكتئاب؟

– هل أستطيع؟

– إن كنت تحبينني.. الحب يصنع المعجزات.. سأكون إلى جانبك.. لن أتركك.. أنت حرة الآن.. لنبارك هذه الحرية بالخلاص من هذا العقَّار الملعون.. هل تعدينني؟

– أعدك.

– أريد ابتسامة نظيفة.

فلم تبرحي المكان حتى أثثتك من جديد.. بصمت قبلتك من شفة يابسة كأرض مجدبة.. قلت بصوت مبحوح:

– أنت زوجي الذي لم يدون في عقد نكاح يستعبدني.. الله لا يخليني منك.

قلت لك:

– أنت الحياة.

Sms

حبيبي.. هناك أكثر من صيغة لدفئك.. سأكونها كلها.. اقترب فقط..

يوم آخر

غرسنا في وجه الرياض عينين ولسانًا وشفتين.. و(طرنا) آه! ما أعجب غنج دعوتك المفتوحة الدائمة للطيران!! سريعًا.. سريعًا انطبعتا في الهواء وشكلنا خطواتنا في الليل الذي نفشناه على قارعة طريق الشوق الأزلي.. استفتحنا صلاتنا ببسملة الامتشاق.. امتشاق الصمت أحيانًا، والضحك مرات، والركض أحيانًا لنستقر على كوثر القبل الندية، نمتح من شراييننا لغة الله في كينونته العليا أبواب الرياض حانات لقلوبنا.. نعم قلوبنا هل تذكرين.. قلت:

– أملك ألف قلب لك وحدك.. فضحكتِ.

لأنني عمليًّا اقترنت بها فأصبحت كتلة قلب تضخ ليس الدماء بل وسن. لم يعد الرياض رماديًّا حتى أبواق السيارات وازدحامها.. تنبهنا للوقت الذي يسقط من أعمارنا حينما نفترق.. لم نترك حانة (مقهى) إلا وقد شربنا فيه أنخاب الكسل

اللذيذ والخدر الذي يروب رائحتنا.. أعدنا صياغة كل المصطلحات والمفاهيم.. لم يعد ما يحمل وجهي الصدق والكذب.. لقد انساق العقل باستسلام كامل إلى إدارة القلب العليا بلغة واحدة لا غير.. تصرين على لا غير؛ لأنها تذكرك بتحرير شيك خلاصك الميمون، كذلك وقعنا حبنا على شيك ذُيل ب–.. لا غير.. واحد لا غير ب–(أنتنا) وقررنا يا أنتنا هكذا ركوب صهوة الأمكنة نبخر عرق الغياب ونذيب حمم الوجد.

انتصرنا أخيرًا على مخاتلات كل الأعين الفجة الباحثة عن فضول رخيص تحركنا بلا خيفة أو توجس كزوجين كاملي الأهلية.. تعرفين ألوان شراييني ومقاسات عظامي والمسافات الفاصلة بين فقرات العمود الفقري وضلوعي.. لن نخشى الأسئلة المترصدة المفاجئة في بلد يقدر لعبة الخوف والمداراة.. ولا يفهم أبدًا كيف يزن قيمة الصدق.. أحرقنا كل أقنعتنا التي تلبسها الوجوه كالنعال لتصبح في جاهزية تامة للامتطاء.. آه يا زوجتي التي حرر قاضي الضياء صكًّا نورانيًّا أزليًّا لأرواحنا أيضًا نملك مخزون أرواح نوزعها عبر ابتساماتنا الصافية بالمجان.. كنا

قد عقدنا العزم على مد جسور قلوبنا للغير، مثل تلك الجسور الجوية لمتضرري الفيضانات أو المجاعات.

ضحى

كان الجسر الأول قد امتد إلى مدينة صديقتك ضحى الموبوءة بأحزان أكلت البسمة من محياها، ولوح وجهها بصفرة البؤس والهم والتعب حتى أوهن جسدها جراء طرق المسافات الطويلة داخل المحاكم.. موزعة ما بين مواعيد مؤجلة أو أوراق لم تكتمل، أو شهود أرهقتهم أسئلة القاضي والأيمان المغلظة فانسحبوا إلى غير رجعة.. ليس لضحى سوى مطلب واحد هو حقها في حضانة ابنيها القاصرين.. أما حق الإعالة فقد تنازلت عنه بلا تردد حتى لا تثقل كاهل الملف الأخضر العلاقي وعيني القاضي بأكثر من قضية حتى نطق الحكم نهائيًّا بحرمانها منها لتتكسر روحها أخيرًا كأعواد يابسة سفتها رياح اليأس.

في المطعم الصيني كانت تجلس إلى جانبك، تسبغ عينيها الشاردتين كل شيء وربما لا شيء.. لم تعر مزحاتنا سوى ابتسامة ناشفة.. كنت تحرضينها على إزاحة أستار الكلفة

والوجل.. قالت لك هذا أنا أقصد أنتنا.. كان تشبثها بصمت احتبست معه لسانها عملية جرد حسابي سريع لطبيعة علاقتنا الفذة، تومئ برأسها المشحون بكل العوادم الآدمية.. بحثت خلالها عن عبارة تهدم سور الحياء الأنثوي الذي تنصبه كحاجز مروري، بحثت عن عبارة صغيرة تستنهض همة الفرح.. بشرط أن تكون منتقاة بعناية.. قررت البدء بسؤال صغير بحجم اختبار أنثى أركسها الذعر داخل مصيدة النسيان أو الفقد، برغم كشطنا لكل علامات الاستفهام من قاموسنا اليومي؛ لأنها لغة تتأبط خبث طوية وتعكير للمشاعر الصافية، إلا أننا وللمرة الأولى اضطررنا إلى طلبها من ذاكرة قديمة منسية كانت مخبأة.. مستودع موصد بمغاليق صدئة.. ربما تخرجها من صمتها ونظراتها التائهة.. ستكون لغة الأسئلة التي نلجأ إليها قسرًا نوعًا من التحدي الواقعي لها سيصدر مثل فرمان صادم بأي شيء مؤذٍ.. أو مثل صفعة منبهة لسجين يرضخ منذ ليلتين لكل أنواع العذاب داخل غرفة التحقيق.. هذا بالضبط ما سيخرجها من عزلتها.. سيختبر قدرتها على التحدي وابتلاع الإهانة التي لبستها يوم صدور الحكم كعباءتها الثقيلة.. فهل ستقبل الصمت والخنوع أمام سؤال يدير لها الكون ببعده الفاسد؟

كنت أتوخى سؤالًا لا يقبل الصمت.. أوعزت للساني المتخثر ببقايا لزوجة فاترة من قبلة طازجة كنت قد التهمتها من ثغر وسن قبل ولوجنا المكان.

sms

أريدك أن تهبني طفلًا.. لأستدرك ما فاتني منك..

شهادة ضحى

استحلبنا ذاكرتها المعشبة.. فأمطرتنا من حليب العلقم.. قالت ضحى ونحن نلتف بصمتنا ببحة صوت تخنقه العبرات التي تلفها بزفرات تدمي القلب مفشية حزنها الذي أصخب عليها حياتها:

– كنت فتاة في السادسة عشر من العمر.. تستقطبها اتجاهات المرايا.. أغفو ببضع فرحة وأصحو على مقاطع من أحلام لا تبرحني حتى تذكي عروقي.. لبست قميص الأغنيات ورقصت.. عشقت كل الفنانين.. تزوجتهم.. نصبتهم ملوكًا لقلبي، وتوجتهم كفاتحين.. عبأت غرفتي الصغيرة برائحتهم.. كاظم الساهر يساهرني، أشعر بالجوع فيطعمني (يالحبيب يبابه) والعطش فيرويني.. زيديني عشقًا زيديني يا أحلى نوبات جنوني.. خاصمت ابنة خالتي لأنها ادعت بهتانًا أن القصيدة لنزار قباني.. قلت لها بل لكاظم فسخرت مني.. فزعقت في وجهها حنقًا

وطردتها من غرفتي وهي تضحك.. تضحك.. تضحك.. وأنا أبكي.. أبكي.. أبكي شوقًا وهُيامًا.. وسريعًا تصالحنا.. ضحكنا رقصنا اقتحمنا مواقع الإنترنت.. نبشناها كما تنبش القبور.. أخرجنا كل عظامها النخرة.. ونفخنا فيها من روحنا.. أعدناها خلقًا آخر.. استدعينا السائق عاجلًا فأقلَّنا إلى حيث مسرح الحياة الناضح بالتوفز وانتظار المجهول الصغير.. خفقنا بأعيننا نطارد أنفاسنا المتعلقة برائحة الشباب.. نماري أجسادنا بينهم ونهفهف بروائحنا العطرية ليلي ديور ادكت.. كلفن كلاين.. نعرج بها على أنوفهم المتلصصة.. نعبث بهم.. نقلبهم كالليل والنهار.. نعود ظافرين بأرقام نحصيها كمعادن ثمينة نفرز منها الأسهل ونودعها في قائمة المستهدفين بأسماء أنثوية.. ثم نقدح شرارة بداية اللعبة على الضحية الأولى.. نرمي سهام الدلال والتمنع.. نسوقه إلى بياض شمسي يبهت عينه سطوعها ويجهل ما يتوارى خلفها.. نعصر آهاته بلذة تفوح من مساماته.. نشيعها كجنازة قتيل مات رميًا بالرصاص.. نتسابق بالإجهاز عليه حتى نتقاسم غلتنا منه.. جوالات آخر موديل.. نقود.. سداد فواتير.. فما أن تبدأ دماؤه بالثقل ويشح جيبه حتى نحيله على أخريات.. يلتقطن منه كذئاب جائعة ما تركته النسور..

ونقذف بالشريحة داخل أقرب صفيحة زبالة.. منتقلات إلى أرقام أخرى بحسب أولوياتنا الخاصة.. حسبنا أن الأيام لنا وحدنا.. نضبط ساعة الكون بغوايتنا الصغيرة.. حتى انفتحت في حياتي هوة خرجت منها عاصفة لولبية التهمتني مضغة طرية بنصف ضحكة لم تكتمل.. قذفتني في مكان مجهول.. أفقت عارية.. مجردة تمامًا في بيت رجل لا أعرفه.. تختلط كل المساحيق على وجهي.. رمقته بصورة مهزوزة وصوت خاثر وهو يقول.. أقصد يخبرني: زوجك سعد وسأسعدك.

ثم أطفأ الضوء الكاشح على مرمى قريب منه لتتراكض في عروقي كريات دماء المقت والقرف.. ياه! كم أحسست أن روحي أمست مثل جدار متهدم أو جيفة يابسة.. ركضت إلى أمي أدفن رأسي في حجرها منتحبة.. تمنيت لو أعادتني إلى رحمها لأبرمج تخليق نطفتي من جديد.. مسحت على رأسي بفرحة أم العروس التي تتنشق رائحة الرجل المزروعة توًّا في جسد ابنتها الصغيرة.. بتفاخر قالت: الأيام الأولى متعبة يا بنيتي.. غدًا سيزول كل ذلك.. انتظرت طويلًا لم تغير دمائي مسارها.. تيبست أمام نظراته المريبة.. شكوكه التي تحوم في كل زاوية من جسدي.. ريبته في عطوري وكحلي.. حتى في حمامي.. اليومي

يندس بين أرقام تلفوناتي.. في صحوي.. في نومي.. حتى في رفة رمشي.. لم أجادل ولم أحتج.. أي لم أهتم بانتظار كلمته الحاسمة للخلاص منه.. بلكمة من يده الغليظة أردتني الفراش كشف حملي الأول.. لم يتورع عن اتهامي أمام إخوتي بالخيانة.. كررها أكثر من مرة برغم الضرب المبرح الذي يقابل به منهم.. حتى ملوا لعبة الانتقام فأعلنوا عجزهم مهادنين لمرض الشكوك الذي يعاني منه.. كأن القدر يجري حسابات سريعة معي.. يستعيد ما أقرضني إياه من سعادة.. يسلخ عن ذاكرتي طفولتي ومراهقتي اللذيذة.. ولادتان ممضتان بتتابع مريع.. قدمتا لي ذكرين رأيت صورة أبيهم منطبعة على ملامحهما حتى كرهت جسدي وكدت أخنقهما بيدي.. لم تلبث غمامة القلب طويلًا.. انزاحت عنهما وانقشعت غشاوة روحي فاستنشقت رائحتهما لأول مرة، وحنوت عليهما، وعشقتهما كملكين.. لم أكترث كثيرًا لورقة الطلاق التي حذفها في وجهي وولى إلى غير رجعة.. ذلك اليوم بكيت من الفرحة.. فرحة الوصول.. نهاية طريق الآلام المزروع بالشوك والعطن.. انتحبت كثيرًا على موال كاظم.. قلت: عاد إليَّ كاظمي ورجعت إلى حبيبي بصوته الذي يعيد ترميم القلوب

بأغصان الوجع الحي، الذي يجعلنا نتلمس أرواحنا بحرارتها التي تسبغ على حلوقنا آهة منعشة:

محاني محاني بكيت وصارن ضلوعي محاني

محاني شلت بضلوعي مأتم ولا من شاف

يعوي ذيب قلبي وروحي لتخاف

حسبت المات لان مات مرتاح

كثير من الدواء يتحول سموم

وكثير من البشر صاروا ذيابه

عدنا إلينا

كم كانت تلك الليلة مسكونة بوحشة لُفت بخميلة داكنة من الصمت! خرجنا ليلتنا تلك مثخني القلوب بجراحات ضحى المرة.. مشيناها متخطين عتبات الأسئلة الشائكة عبر مساحة البوح.. مترهلين نحتسي عهر مدينتنا.. تلك الساعة لم نبصر وجوهًا.. لم نلتفت إلى وجوم الطرقات وكآبة الأبواب.. امتطينا سيارتنا نجوب الفضاء الداكن كباحثين عن مفاتيح لنوافذ الأكسجين الموصدة.. أمسكت بأناملك الرقيقة أمد أوصال الحياة كي نضخ لبعضنا بعضًا من رحيق البقاء.. تورمت روحي كبالون كبير أحسه يعبر صدوري ويهزني.. لقد أثقلنا إلى الأرض وقعدنا عن الطيران.. أحسست بحاجتي لقبلة الحياة طلبت اختلاسها.. قلت:

– اركد ضحى لا تزال معنا.

قلت:

– إن الله لا يستحي من الحق.

ياه! لم تكن قبلة، بل روح تغلغلت في شراييني استشعرتها.. تمامًا بحجم الحمحمة الفرسية التي اجتبتك.. لحظتها كنت اشتهيت مشاركتي زجاجة كوكاكولا باردة نرجها قبل فتح غلاقتها.. نفرقعها ونتركها تطيش.. تطيش تطيش.. نتبخر معها وننسى.

sms

اليوم عشقت إشارات المرور؛ لأنها تذكرني بارتباكك اللذيذ!

ليس معنا سوى حريتنا

لا.. لا نريد للألم الذي كنسناه أن يقارب غضارة أيامنا.. ضحى المنضوية تحت حطام نكستها ذهبت إلى حيث ترمم روحها أو تصنع لها جسدًا يواري سوءة الذل.. ليس معنا سوى حريتنا.. نعم حريتنا التي اغتصبناها عنوة من تحت جفن الرقيب.. ومشينا.. في دروب اللا مكان واللا زمان.. هذان البعدان صنعناهما لنا فكل مكان نؤثثه من جديد ونعيد بناءه؛ ليتناسب مع أبهة احتفالية حب والحرية.. هكذا اتفقنا أن نمشي.. المشي هو رياضة للقلوب المدنفة.. تسليك لكل العروق المسدودة بأوهام.. وهموم.. مشينا مثلما قررنا أن نمشي دروب الرياض بوجوه سافرة وأقدام ثابتة:

– ما رأيك في الهرولة..؟

– أين؟

– هنا.. في ممشى طريق الملك عبد الله.

كانت عينك لا تزال ترف مثقلة بالألم.. توخيتها مشغولة بمأساة ضحى قلت بعبارة ممطوطة وثقيلة:

– نعم نهرول.

كنت ألمح تمتمات ترطب حلقك قبل أن يتحرك بها لسانك أستشعرها وجه القهر الملعون بدأ يرتادك.. في مثل هذه الساعة الخاملة من ليل الرياض الذي بدأ يستقبل بواكير البرد المنعش.. لن تفسحي مراتك لأقدامه الهمجية.. واثق أنك لن تعطيه جواز مرور.. فهل ستفعلين وتحنثين؟.. لن أدع أيادي الحزن الشيطانية أن تفسدنا أو تهدمنا.. أعرفك حينما تواربين الهم بارتعاشات أطرافك التي تنفضني كشواظ كهربائية بفولتية عالية حاولت في أكثر من نكتة ماجنة اغتيال همومك قبل تجذرها حتى كممتني تلك الرسالة التي سحبتها من حقيبتك الصغيرة.. رسالة منقوشة بأحرف مرتبكة على ورقة محفوفة الجوانب بورود حمراء صغيرة.. عصرني قلبي فجأة.. لا أخفيك التهمني الرعب كمضغة سائغة.. وكن جاهزًا لكل الاحتمالات القدرية.. قرأتها ونحن نتخطى بلاطات الممشى متجهين نحو دكتور كيف القابع نهاية الممشى من الناحية الغربية.. وقفت

تنظرين دورك للتزود منه بسُقيا الرحمة اللذيذ من اختياراتك ذات المعاني..

فعندما تطلبين النسكافية فأنت في غاية الحب.. أما القهوة المرة فهي دلالة على البوح..

وها أنت تطلبين قنينة ماء معدنية.. ما يعني أن حلقك جافٌّ تمامًا من كل هذه الأشياء.. جلست متكئًا على لوح الساعة المستطيل المحاذي لدكتور كيف أقرأ ريثما تتجرعين الماء على مهل..

فأنت لا تحبين الشرب والأكل مشيًا.. تقولين إن الأرض تدور حول نفسها بلا إضافات.. كما أنت لا تريدين الحركة باتجاهين.. أنت مثل الأرض تمامًا!

رسالة وعد

فتحت وسن رسالة أختها وعد الآتية إليها عبر محمولها.. قرأتها مثلما كتبت تمامًا بصعوبة بالغة:

قفلت الباب بإحكام.. أخذت أتنهد.. أبحلق بالغرفة التي أعتقد أنها كرهتني مثل أي شيء كرهني.. لم يعد لي سوى غربتي.. وحدتي.. حزني.. جلست ملتصقة بالباب.. الباب الذي مل فتحي له وغلقي المستمر دون حاجة..

اعذرني فأنا مثلك أيها الباب صُنعت من خشب بمزاليج وأقفال، توصد وتُفتح رغمًا عني..

أئن مثلك عندما تصدر صريرك المدوي الحزين ربما تفضلني قليلًا فأنت تعلن عن نفسك وتحتج بنياحك المؤذي.. فيرشونك بقطرات زيت تطري روحك. أما أنا.. مسكينة أنا.. لا أستطيع حتى البكاء.. ليتني لم أكبر! أو ليتني مت قبل هذا وكنت نسيًا منسيًّا.. ليتني كنت شجرة تعضد.. أنا عدت إليك

أيها الباب لأتذكر حقيقة وجودي.. أنت شاهدي القبوري الوحيد والشاهد على خلاصي النهائي.. ليتني أموت! وعد.

الحكاية

– آه! يا لشقاء هذه الفتاة الصغيرة المسكينة! كيف يحدث هذا.. هل تجمدت قلوب البشر.. ماذا يحدث يا إلهي؟

حبيبي.. عندما تركتني ليلة البارحة.. جاءني اتصال وعد.. كانت تتمزق بكاءً.. وسريعًا كنت إلى جانبها.. كانت خائفة مذعورة وعلى وجهها لطخات حمراء داكنة.. فما إن رأتني حتى تعلقت بي هادرة بالبكاء.. كان الصمت يعم المكان إلا من نشيجها لم أفهم منها سوى توسلاتها بأخذها.. انتشالها من هذا الكره المتفشي من عيني زوجة أبيها والقمع الذي تمارسه عليها ضربًا وركلًا وسحبًا كبهيمة تُسحب إلى منحرها:

– لِمَ لم تأخذيها معك؟

بلا تردد.. الملعونة زوجة أبي.. تعرف من الحارس قدومي لكنها جبانة خافت مني.. تخاف مجابهتي.. أنت تعرف أنها تلاحقني بعيونها اللتين تدسها خلفي في كل مكان.. تذكر

اتصالها الأول بي ومحاولة ابتزازي فقط لأنها كشفت طبيعة علاقتي بك.. ولولا تهديدي لها بما هو أنكى لاستمرأت اللعبة.. وأكلتني حتى العظم.. في هذه البلاد المباركة يجب أن تحتمي بنفسك فقط.. لن تجد من ينصفك

– أين هي الآن؟

– عندي.. أعطيتها حبة منوم.. هي تحتاج إلى عملية ترميم طويلة..

– هل تعرف؟

– ماذا.. إنك زوجي الذي كتبه القدر بصحيفة من نور.. نعم تعرف.. أفكر.. رفع شكوى ضد زوجة أبي.

– وأنا معك.. سأنصب محاميًا يقوم برفع الدعوى.. ولكن.. موقف أبيك؟

– لا تخف عليه.. أبي رمى طوبتنا من زمان.. وسينحاز إلى زوجته حتمًا.

– أخاف أن تتهمك.

– بك مثلًا.. أنت زوجي والأوراق تثبت ذلك.

– لا نريد خلق بلبلة.. أنت تعرفين سيطلقوننا فورًا.

– لا يقدرون.. وزوجة أبي بالذات لا تقدر (فبلاويها) مستمسكات عندي محفوظة.. وهي أذكى من توريط نفسها بما لا تحمد عقباه.

متلازمة الحب والحرية

تلك الليلة الموبوءة بشكوكنا وخوفنا.. لا ندري كيف نبت الهم في لحظة وقد انتزعناه من الجذور..؟ كيف عادت الأوجاع تساكننا..؟ كيف بتنا كجدر وطيئة قابلة للتسلق والاقتحام..؟ ذات المساء العفي برؤًى لم تتعمق طوقتنا أفكار سود كادت تخنق حلمنا الطيفي الذي ربطناه كظلنا.. قضية (وعد) أحاطت برؤوسنا وأحدقت بنا كجيوش.. غزاة متربصين لاقتحام مدينتنا والوادعة.. كان الذعر يطير غرابيبه السود.. ويفجر بركانه في شراييننا حتى أحسسنا جيوشًا أخرى من النمل تتسلق عظامنا وتقتات من دمنا. سأقف معها شامخًا كما علمتني طقوس الحب التي أديناها في محرابه المقدس بلا انحناء.. سأسيل حمم غضبي مثلما فعلت يوم حاولوا اجتزاءك مني.. ستقفين معي في حرب الضلالات والجهالة لننتزع الصغيرة من براثنها ونمزجها في حياة نقية كما امتزجنا عنوة كطفلين سياميين.. الفصل بينهما مخاطرة تزهق الأرواح.. لقد نصبنا منذ ميلاد القرن الأول شهادة

ميلادنا الأولى على.. روحنا.. قلبنا.. وجسدنا.. وقررنا أن نضخ منها دمًا بفصيلة واحدة هي فصيلة الحب.. تلك التي لا تقبل التجزئة أو النقل.. ربما نولدها مثل طاقة تنبت حقولًا من اللوز والحنطة.. بينها تترعرع وتزهو نبتة الحقيقة الواحدة التي تعلو ولا يُعلى عليها، لذلك سننتصر على السجون المحكمة الغلق على جسد وعد الصغيرة.

لم تعد وسن تلك الليلة إلا وهي تحتضن أختها وعد، وتجرجر حقيبتها الكبيرة.. هل قامت باختطافك.. بتحريرك.. تهريبك.. لا يهم.. الأهم أنك هنا في فضاء الحرية.

sms

أراهن عليك بدمي الذي في عروقك.. أنت حقيقة الحياة المطلقة.. وحشتني كلك.. مشتهية قهوتك..

مقاومة

وعد.. يا ذات الستة عشر خريفًا.. اقذفي بكل ما لديك في اليم واتخذي طريقك في البحر سربًا.. أنت أيها الدلفين الصغير.. تغرغري ببؤس العالم وخطاياه.. وارشقيه في وجهه القميء.. كوني صامدة أمام كل انكسارات مد النقاء على سواحل عينيك وإخفاقات جزر الحزن المتواثب كحية كالحة السواد.. تلتف بين تغضنات صفحة وجهك البكر فتحيله إلى ثكنات للهموم..

لن يكرر الموت ذاته كل صباح كمنبه ساعة حائطية ملعونة..

ظلت وسن تضمد جراحها ببقايا جراحها.. تستأصل من روحها حزمة من طاقة تشغل ماكينة البقاء.. حتمًا ستعبئك بوقود المقاومة.. لن يظل تشرذمك سدًّا منيعًا للوصول إلى عمق مأساتك.. سنقولبها كبلور الثلج ونغسل بها أدران الماضي.. سنمررها على حبالك الصوتية.. نشدها بها ونقشر لسانك

المتيبس على دفق آهات وآلام.. سيتحرك متثاقلًا بوتر ربابي واحد.. حزين.. اليوم هو العاشر من عمر حريتك يا وعد.. ولا نزال نحقنك بها على جرعات حذرة كي تستبيني حدود الأشياء وتفاصيل طبائع الأمور بعدسة مكبرة ودقيقة تشف حتى جسد الليل.. ستكتشفين أنها ذات أبعاد مختلفة بمذاقات متنوعة.. بروائح كثيرة جدًّا بمناخات متعددة بسماوات وأرَضين وفجاج وبروج شتى.. ستدخلين عالمًا سحريًّا كعالم والت ديزني.. ستلاحقين بنك بنثر وتعاركين توم وجيري.. ستغنين كل أغنيات كاظم الساهر، ولكن بفرح وأنت تبحثين عن الأميرة الصغيرة كي تقدمي لها حذاءً هدية لاقترانها بأميرها الموعود.. ستروغين مطاردات بيتر بان.. ستغنين ألحان العالم.. لن يتناهى إليك أمر صارم بالصمت.. ستكسرين أنصال المحرمات المزعومة لله.. أذكر أنك تعشقين مساري وتذوبين بركي مارتن وتدوخك سيلين ديون.. وسترقصين على دايدو.. قبل أن تنامي سترشحين صوتك المفضل لليلة واحدة من بين أغاني تامر حسني وشيرين وعبد المجيد عبد الله وأصالة وحسين الجسمي.. اليوم أنصتي جيدًا لوسن.. فسيبهجك صوت العالم المتعدد المتنوع المتباين الآخر بلا رتوش بلا أغطية.. بلا كفارات.. عالم ممتزج بكل

اللغات والمعاني.. لا حدود لإبداعه.. لا بل لخلقه.. لتكويناته.. بمثل ما يلد الكفر.. يحبل بالطهارة.. لا يكرر ذاته ولا يلبس جلبابًا وبريًّا مشوكًا واحدًا.. ليس ثمة عزف واحد على إيقاع رخيص وممل.. قريبًا ستشدك من يدك للتجوال في طرقات الرياض للبحث عن الشيطان الذي هرب مؤخرًا من مصحة نفسية.. وشغل بالسخرة عامل بناء ناطحات سحاب.. ستعرفك على سوق الجنون الكاسد.. ذلك السوق الذي يحكمه عقلاء صامتون.. أصابعهم تتحرك فقط لتوقيعات متطابقة تمامًا.. فموظفو البنوك دقيقون جدًّا وحذرون أيضًا؛ لأنهم حريصون على كبار العملاء. أما أنت فستغذين حسابات روحك بأرصدة واقعية.. من خلالها ستسمعين حتى الضوء.. ستتشبثين بأهدابه الساحرة كحلم، وتمشين حافية لن تضطري لخلع سوى أسمال الحزن المتلبسة فيك.. ستغرقك هالة النور.. فهل ستطلبين المزيد.. في أن تري الله مثلًا.. عندها لن تجربي ملكوته العلي؛ لأنه سيزرع في عينك بوصلة تهديك إلى ما وراء الزيف.. ستعرفين أن الله في كل ابتسامة صدق.. في كل صوت عذب.. في كل جسد جميل.

ستقف بك وسن على أطراف العالم.. وتحسره لك في كلمتين.. أن الله هو الحياة.. وما عداه زيف وضلال وهمجية.. انتظري يا وعد فتعاويذها لم تكتمل وسبحتها لم تنفرط بعد وفنجان قهوتها اللذيذ لم تستكن رغوته بعد.. انتظري يا وعد فاليومان القادمان حاسمان؛ لأن ثمة فرجة أسمعها تصرصر في صدرك بدأت تنفتح.. ينقشع عنها الصدأ.. والسحر بدأ ينحل وخفافيش الماضي تخفق في أعشاشها.. سترتقين رأس العالم وتنفخين ببوق الحرية وتشرق أرضك بحقول والسوسن والجوري والياسمين واللبلاب والبنفسج.. ستنسجين منها نطاقًا بلون قزح، ستبقين لله وحده، تشعين ببهائك على الحياة التي هي الله. لن تدعك وسن وأنت ترتقين هضاب الحقائق حتى تفكك صمتك بغرفة طاهرة تجلو روحك.. تفككها.. تنثرها.. تعيد تركيبها.. رحلة التطهير هذه لن تلجئك إلى الأبواب الموارية لتهريب الحب.. ورسائل المحبين وهداياهم.. ذكرتك.. قالت لك:

– هل تذكرين ذلك المساء المطل من جهة الرياض الشمالية بضحكة رطبة من لثغة طفولة بريئة.. وأنت تلهبين حماسة السائق كي يزيد من سرعته للوصول إلى مطار الملك

خالد قبل حلول موعد إقلاع رحلة عصام للدراسة في الخارج؟.. تحملين له شوق حبيبته ووداعها المضمخ بأمل اللقاء.. ووعود مستفزة للبكاء.. أعطيته صندوق هداياها.. دبدوبًا صغيرًا وزجاجة عطرها.. ومجموعة وقلادة ذهبية على شكل فراولة.. واستلمت منه بعروق تفوح منها عذابات الوداع الأخير مجموعة سيديات وميدليا سيارته المذهبة وعطرها المفضل (سيكرت)، ومضيت تخفين كحمامة أنعشتها حرية يوم مشمس.. وعد الموعودة بمخاضات حياة مجيدة تحملين وجهي الإيمان والكفر.. منذ اليوم لن تؤولي إلى ضعة الخوف والتردد.. ستكونين شمسًا مشرقة تنتابك غيمات عطر اختيارية.. فهل ستسلمين الروح بعد غياب إلى أختك وقلبي الذي يضخ الحياة (وسن).. سأكون معكما أسمع وأرى.

Sms

الصباحات.. تفقد أهليتها لصنع البدايات.. إذا لم تقف على أطراف أصابعها لتقبل ذقنك كل يوم..

أيام بلا تاريخ

بدت أيامنا مختزلة في يوم واحد.. بلا أرقام ولا أسماء.. مزقنا حتى التقويم الميلادي والهجري المضطرب دائمًا.. لم تعد لنا الأيام ولا الشهور عربة نجرها فوق أكتافنا فتثخننا بتبعاتها اللامتناهية؛ بل شطرًا من أغنية (لمين الهدية لفيروز) تلك التي تمرجحك أنغامها فتنتابك دوخة لذيذة تنشينها بفنجان قهوة مرة.. يبيت كل ما يمر بنا في دائرة النسيان نمضغه مثل علك بطعم النعناع.. لا تنسين بتاتًا كل صباح أن تدسي بأناملك الرطبة في فمي مكعبًا صغيرًا من (علوك) غندور.. استفتاحًا للذات القادمة.. هل تذكرين.. صباح يوم الجمعة.. اليوم الاستثنائي الذي دبسناه في أدمغتنا.. فلم يبرحنا أبدًا.. كنا سمعنا حفيف أقدام تقترب منا ثم نقرات خفيفة مترددة على الباب.. وصوت همسات وعد.. تنادي:

– وسن.. وسن.

كان الصوت ينساب رقراقًا عذبًا من حنجرة تألف الكلمات للمرة الأولى.. تملصت من بين جوانحي بحركة لا تجرح دفئي.. لمحتك وأنت تستديرين نحوها.. كانت ثمة فرحة قفزت توًّا إلى وجهك ولونته بغمازتيك الساحرتين.. فرحة تختلس قلبينا وتزيح أنامل النعاس اللذيذ.. كي تسكب لنا الصباح بطعم النعناع..

– وعد حبيبتي.. تعالي.

– أريد شيئًا آكله.

– ادخلي.. تعالي سأعد لك إفطارًا سريعًا.

رأيتها.. مفاجأة.. ياه! كيف يصوغ الفرح كلمة الحياة.. يلقيها في روعنا، حتى تسحل وعد بقايا عذاباتها في غضون شهر كامل كدنا نفقد أهليتنا في الإقناع.. وفي صباح جمعة مجيدة تشرق علينا ببيجامة وردية وسحنة خضبتها أريحية نقية.. توارت كل خطوط الحزن وعلامات الكآبة خلف ابتسامتها المخملية.. كأني أتعرف عليها للمرة الأولى.. أدركت كيف أن الله يصنع معجزاته في يوم الجمعة.. إذن أصبح لدينا رقم وحيد مقدس

وخالد هو الرقم سبعة.. الساعة تشير أيضًا إلى السابعة.. صرت أرى كل الوجوه.. الخطوط والأجسام والألوان.. كل شيء.. كل شيء على شكل رقم سبعة.. حتى غمازتاك تشي برقم سبعة.. فمنهما اكتشفت أن الرقم سبعة له قدسية خاصة.. الأرضون سبعة.. السماوات سبعة.. الأيام سبعة.. الفاتحة سبعة.. وعد تحيا في اليوم السابع.. ضحكاتنا تتوقف عند القهقهة السابعة لتطفو فوق وجوهنا بسكينة.. ابتسامة موادعة.

كنت بدأت أستبين ملامحها تشبهك تمامًا.. وجهها مستدير مثلك.. وعيناها سنجابيتان مثلك.. وغمازتاها تتوسط الخد مثلك ترقص في وجهها حينما تبتسم.. رأيت عذريتهما لأول مرة.. لم تفضهما قبلة بعد.. ولم يطمثهما إنس ولا جان.. هذا الصباح قلت سنحتفل لم يعد لنا حاجة في النوم.. لن ننام.. مدينة الرياض وحدها في مثل هذه الساعة السابعة من اليوم السابع تخلق من جديد.. بينما الناس هاجعون.. لن نفسد عليهم لذة تقلبهم في أحلام لا تتحقق.. خرجنا نجوب طرقات الرياض.. نطوف بها كأولياء صالحين يستقبلون بواكير صباحاتهم بتبخير أضرحتهم لاستقبال حجاج الصباح المستشفعين بهم.. ها هو الرياض، نجوب حوافه بحثًا عن مائدة الله.. لم نبحث عن

مستحيل.. الحرية هي المائدة المقدسة للأنبياء الصغار.. في تلك اللحظة ظفرنا بمبشرات تقف على أعتاب خطواتنا الأولى المشحوذة بالفرح لخلاص (وعد) أخيرًا من براثن العذاب.. ومرارة الكره.. قابلتنا هفهفة لطيفة من هواء ناعم.. صافحت وجوهنا وغشيت قلوبنا الرطبة.. كنا ساعتها نبرم اتفاقًا تاريخيًّا مع الوقت لاجتزاء ساعات منه لتطهيرها من جنبات الماضي وكآبته المتوالية.. ذاك الصباح.. كانت الطرقات تغص بهدوء وسكينة.. احتفالية خاصة تعزفها جوقة الرب لوعد.. كم هو كريم يبارك مخلوقاته الطاهرة بمنحة مباركة كهذه قلت:

– ما رأيكم بالمشي.. لتختبر وعد قدميها اللتين مضهما فراش الدنف؟

وقفنا ثلاثتنا على ناصية طريق الملك فهد ومشينا.. كأن الكون خاشع منصت لتوقيعات أقدامنا على ذلك الرصيف الواسع.. تسابقنا نحو جسر المشاة الذي يقطع الطريق من الأعلى إلى نصفين وقفنا في منتصفه كأننا نقطة ارتكاز ما بين الشمال والجنوب.. وقفنا إلى جوار بعضنا متلاصقين مغمضي الأعين نلوح بقلوبنا لاستقبال حزمة مغناطيسة سماوية.. خامرتني

أغنية تحرك بها لساني لم أكن أحفظها قبلًا.. لا أدري كيف انهمرت بأوتار مشدودة من حبالي الصوتية.. تفاقم الصوت فشاركتماني الغناء:

أومن أن خلف الحبّات الوادعات.. تزهو جنّات

أومن أن خلف الليل العاتي الأمواج.. يعلو سراج

أومن أن القلب المُلقى في الأحزان.. يلقى الحنان

أومن أن خلف الريح الهوجاء شفاه.. تتلو الصلاة

أومن أن في صمت الكون المقفل.. من يصغى لي

إني إذ ترنو عيناي للسماء.. تصفو الأضواء

تعلو الألحان..... كلّي إيمان

مشينا نردده بصوت واحد حتى داهمتنا شمس الساعة العاشرة.. شرعت تحشد أشداقها بكتلة لفيح ساخن استعدادًا لقذفها على أديم الأرض المتضورة دائمًا من عربدة عجلات السيارات التي لا تعرف هوادة.. هذه ميزة سيئة للمدينة التي بترت أقدامها وركبت فوق عجلات تدورها مثل لعبة الروليت..

مراهناتها على إنسانيتنا.. حريتنا.. مصيرنا دائمًا خاسرة أسلمنا الضجيج الذي بدأ يعيث بأرواحنا المغمورة باحتفالية عرس صغير.. إلى قرار نهائي بالعودة إلى وكرنا الصغير.. حيث نستكمل هناك أهازيج زفة العروس وعد على شاب لا زال في مخاضاته يتشكل من ماء الحرية.

Sms

ليشرب العام الجديد نخبنا..

9

ساعة عدنا كنا نطير حمائم أفراحنا.. ندق الأرض بخطوات ثابتة.. نترنم بفرحنا.. نصطاد شحوب الكون وننفث عليه آيات الفرح فتصير هباءً أبيضَ.. نطير منه حساسين صغيرة نخلقها كي تشاركنا الغناء والرقص.. كنا نتحسس دبق أيادي الشيطان اللدنة.. نعصرها كإسفنجة غارقة بماء ووحل ليسَّاقط منها غوايات العالم ونجاساته.. ندكها كما تدك الأرض بالرقص والغناء لتهتز وتربو فنجري منها العيون وملايين الأرواح الطاهرة.. وقبل أن يرتد إلينا البصر تتكاثف سريعًا صورة وعد التي تناسلت من العذاب.. أبصرناها لم تعد تملك قلبا واحدا مقفرًا ولا عيونًا ضحلة ولا فضولًا يكرسه الروتين.. صارت مثلنا ترى الناس.. رجالًا.. أطفالًا.. بنات يشاغبهن ولهن.. شباب يسرقون اللحظات من أبواب الوقت الخلفية.. كلهم.. كلهم.. تراهم يتخففون من كل الأشياء الزائدة يطيرون فوق بساط علاء الدين السحري.. تومض شفاههم بابتسامات.. شعلة ترتعش..

وجوههم تشيأت للتو قناديل لامعة.. ابتساماتهم.. روائحهم.. كل شيء.. كل شيء.. أصبح فطريًّا.. حتى الشياطين تلاشت والملائكة تحضر أرواحها الطاهرة:

– ألا تريد أن تنام؟

حتى سؤالك المبحوح بلذة مسكرة كان مطمئنًا.. نبأني.. وكان بشارة إضافية مثل قالب سكر إضافي في كأس كابيتشينو.. اليوم تسمر وعد صحيفة ميلادها الجديدة على حيطان الهواء وخيوط الشمس وغلالة الليل.. قطعت نهائيًّا طريق العودة للأضابير المذيلة بخطوط عريضة ممتقعة السود.. الحياة أمامنا ووراءنا لا شيء:

– هل تعتقدين أنها تطهرت؟

سألت مترقبًا بشارتك الثانية أو قالبك الثاني:

– لقد اعتذرت لها الرذيلة.. دوّنت كفاراتها في صحائف أعمالها السابقة وأحرقتها؛ يعني خلاص لا رذيلة بعد اليوم وغدًا وعد.

– هل تسمعين؟

كانت ثمة خشخشة ترتاد المكان تتسرب مع أغنية (أنا احلويت) لنوال الزغبي كانت تصفر معها وعد بتغنج سكران.. هل تذكرين كيف تسرب إلينا الصوت من عقب الباب، فشحن عظامنا بمقاومة صغيرة للكسل.. نهضنا نهش النوم العالق بأجفاننا ونتسحب إليها بخدرنا اللذيذ.. كانت تجرجر حقيبة جلدية كبيرة تقلبها رأسًا على عقب مفرغة كل محتوياتها.. ملابس مكدسة بلا نظام.. مجلات.. صور.. عطورات.. مساحيق.. دببة صغيرة.. أبواك ورقية رمتها بعيدًا كانت مسجورة بمذكرات الماضي اللعين.. التقطتيها بفرح تراقصت معه غمازتاك.. احتفالية خلاص وعد أعادتنا أنهضت ذاكرتنا المستلقية بدعة تقلم أظفارها بأطراف أسنانها.. انتبهت إلينا ونزلت من مصطبة الخمول مثلنا تمامًا.. ركضت تزيح من أجلنا ستارة المسرح (لنرانا) كيف تقاسمنا في ليلة واحدة الكون.. وعلمنا حدوده وزواياه.. مثلنا وعد فلم يعد لاستبداد الخلق ورعونته مكان بيننا راجح ولا لغة مرجوحة.. كلها أحلناها إلى أسانيد الإفك والضلال.. وأحرقناها كما تفعل وعد ومشينا أول طريقنا بأقدام غير متراخية أو وجلة.. ياه! كم هي لحظات ولادة مختلفة من رحم العذاب.. ولادة غير الولادة الأولى.. بضحكة

غيمت السماء وأمطرتها.. الحليب السماوي شربته أجسادنا ونحن جالسون نحتسي شايًا منعشًا في ستاربكس.. هل تذكرين قلت لك مثلما تفعل وعد تلك الليلة:

– ستكون آخر خارطة نحرقها هذه الليلة.. لا سبيل إلى العودة..

ستقف محرضين عظيمين للمستقبل لتأتي حافلته باكرًا بلا تأخير.. لأننا قررنا تيك الساعة ركوب الحافلة التي ستُقِلُّنا إليه.. المستقبل نراه يقعي بانتظار مركبتنا عند حدود شمس الأصيل.. سنلوح له بأيدينا كأنه إلى جانبنا.. كنا نبدأ للوهلة الأولى عملية الالتصاق بالحياة ذات النكهة الطبيعية.. التي تبدأ من طعم مرارة العطش وعفن الجوع كي نصبح جديرين بها أكثر مما يفترض.. نهيئ أرواحنا لتأملها مجردة.. استحلنا إلى حيوانيين بريين متوحشين.. نغوص في عمق جذور نباتها الشوكي بعيدًا عن تكنولوجيا الدماغ التي زرعت في رؤوسنا بمؤامرة رخيصة لتحريكنا كعربات مقطورة.. جلسنا قريبًا.. عن كثب من أنفاسنا المتهالكة.. ننكس كل القوالب الجاهزة.. ونحن نهرش شعورنا التي بدأنا نحس أنها تنمو من جديد.. قررنا سلخ كل الأشياء

القديمة التي تمتد إلى الماضي كأنابيب هواء فاسد.. حتى جلودنا.. هل تذكرين يوم أدميت ذقني بموس الحلاقة جيلت.. قلت:

– هذه ثكنة دماء مخابراتية مدسوسة من الماضي لذلك أرقتها.

يومها لم نترك لكل الغرباء اقتحام فرديتنا.. وبعدما اغتسلنا من اليم الساخن وقشرنا رجس الماضي مثلما تفعل وعد في ليلتها ألقينا بكل ملابسنا في أقرب صفيح زبالة.. فكرياتنا الدموية لم تعد تقبلها.. بعدما أصبحنا محاربين وطنيين يطردان الغرباء عن أراضيهما.. ثالوثنا الطاهر (دمنا، روحنا، جسدنا) هو وطننا.. تخلصنا إلى الأبد مثل أي شعب مسحوق يتخلص للتو من براثن الاستعمار.. أول ما تحرق أعلامه.. هكذا فعلنا وفعلت.. أحرقنا حتى سراويلنا القديمة.. كم أعادتنا احتفالية وعد وهي تراقص أغنية نوال الزغبي إلى ليلتنا التاريخية، حيث تم وضع حجر الأساس لمجدنا.. أصبحت كل الأغنيات البيضاء نشيدنا الوطني.. لم تعد لنا هوامش أو تفاصيل أو ضرورات أو محرمات أو مباحات.. دفناها جميعًا.. مثلما دفنا

كل أشيائنا الفائضة عن الحاجة، لم نعد نحتاجها.. كل شيء بات مشرعًا من الجهات الأربع.. أما السماء فأضحت لأجنحتنا تؤرجحنا ندفها البيضاء المودعة.. هل تذكرين كيف لملمنا كل متعلقات وعد المنثورة من حقيبة جلدية منتفخة الأوداج كأنها حالة تعبوية لبصقة مفاجئة.. ذلك اليوم أصبحنا ثلاثة في نادي الحرية.. نلعب بين كراسيه لعبة الجالس الأول.. وكنا نجلس معًا وننهض معًا.. وحدنا دون منافس.. حتى نقود الماضي الورقية ملوثة أسقطناها في حجر أقرب متسولة تفترش رصيف الفقر انتظارًا لرحمة الأحذية المارقة في بؤسها.. علمتنا طقوسنا اليومية أننا نقيس الوقت بحرارة أجسادنا.. بهدير الحمامة المفرخة بقحف النافذة.. علَّ ضحكات الأطفال الهاربين من كدر المدرسة وغل المعلمين.. نقيس نبض الكون بقبلاتنا.. ووعد كانت تقف على أشعة الضوء الذي يحمل الهباء كي ينفح لها قبلة تتعثر بها وتطول وتطول مخدرة بكل الأغنيات الغربية والعربية.. كانت تمارس متعة الشتات الاختياري للجسد والروح والنفس.. وتبديل أصابع الروج في كل ساعة.. لم يعد لديها وسادة سرير واحدة.. ومكان للنوم أو الاستلقاء ثابت.. بل هي

تصنع حالتها.. تنام في البانيو.. أو تستحم في غرفة النوم.. وحتى نتف الإبطين في المرتبة الخلفية من السيارة.

Sms

تدهشني وأنت تعيد خلقي وتداهم عروقي بمفاجآتك اللذيذة.. حتى نسيان أصابعك في فمي..

ذاكرة يوم الثلاثاء

كان يوم الثلاثاء ينشطر عن مصادفة القدر الجميل ومع العدد ثلاثة.. تتطرى حنجرة وعد.. أصبحنا أبناءً للمطلق العميق.. مفاجآتنا اللذيذة لا يلتفت إليها غيرنا.. غناء العصافير مع نهوض أول الصباح.. قبلاتها قبل أن تأوي إلى أعشاشها.. حتى العناكب الصغيرة استنشقت رائحتنا فألفت مقامها بيننا في خمول مندسة في سكينتها تحت لحفنا.. والقطة (لولو) استلهمت طاقة الحب الفائحة من مساماتنا فتغنجت هي أيضًا.. لولو.. أسمتها وعد لبياض فروها.. فهي عندما تتكور على نفسها بدعَة تكون مثل خرزة اللؤلؤ الكبيرة تقفز في حجورنا في رقص مفرح كأنها تضغط بأقدامها الصغيرة لوح بيانو.. تنبهنا بحضورها الدائم.. تشاغلنا عن مشاكساتنا لبعضنا.. خصوصًا حينما تلعق خدك الأيمن وكأنها تبحث عن قالب سكر أو قطعة (كتكات) فتضحكنا بحركاتها الخبيثة.. تسحبنا من لعبة الاختبار تلك التي نقوم بها أحيانًا لقياس درجة

حرارة دمنا.. ذاك يوم الثلاثاء انتشت حيطان شقتنا الصغيرة القابعة في حي المصيف.. ثمة روائح تنثُّها تلك الفازات الصغيرة التي انتقيتها بألوان طيف.. يوم مفعم برائحة لها مغناطيسية ساحرة.. فهمناها مباشرة.. تعلمنا لغة الروائح أيضًا حتى تلك التي تتضوع من الجدران.. كل شيء له رائحة تميزه.. الحب له رائحة.. الكره.. الحزن.. الفرح.. النوايا السيئة.. النوايا الحسنة.. ذلك اليوم داهمنا برائحة خالصة من عطر الله الخالص.. بلا إضافات إلا أنه يسكبها في القلوب كما يصب الماء صبًّا.. طارت تلك الرائحة جذلًا تعانق كل شيء حتى صدورنا التي خامرتها برودة منعشة.. ألفينا وعد يوم الثلاثاء تجلس على (الصوفا) التركوازية المشجرة بالعنابي.. تحفها في بهرجة طاغية.. مثل ليلة عرس.. الحاضرون فيها يتبخرون مثل السحر.. يتشكلون غمامة عطرية وزعت الورود على الفازات بإتقان.. بدت كمعزوفة تتداخل فيها كل الألحان وعد.. ترسل عينيها المتأرجحتين بصفاء تغازلنا بما يكفي للبوح وهي تملس على فروة (لولو) المستسلمة بخمول تشارك وعد وَجِيبَ خفقات قلبها وآهاته التي تتسرب من صدرها بخدر لذيذ أيضًا.. دافنة رأسها بين أحضان وعد.. منصتة إلى هسيس

أرواح تجوب أفنية روحها.. اليوم وعد ساكنة منصتة باستسلام للشيء الذي يداهمها مع صوت ماجد المهندس المخملي:

والله واحشني موت..

خ–اف ب–عدك أموت..

قلبي لو من حديد ذاب وأن–ت ب–عيد..

ل–و خ–س–رت–ك ح–بيبي..

اشلون أحب من جديد

وين ألقى وفا.. أو أحس بدفا..

ضلمه بعدك حياتي.. كُل شي بيها اختفى

روحي يمك حبيبي.. ب–ي–دك أتمنى أموت.

لم تكن كعادتها بل واجمة بلا ثرثرة بلا ضحكات صبية تفرحها عذريتها.. تتوه بين كل المواعيد (وتخربط) بين الأسماء والعناوين ثم تضحك باستفزاز لذيذ وهي تقول (والله إني خبلة) هل تذكرين.. كيف تسربلت بحبها شهرًا كاملًا أدخلتنا معها في

تفاصيله الدقيقة وكل العادات الغبية.. الممتعة التي يجلبها الحب.. مثلما منحتها استقلاليتها الكاملة حرية تميز بها الأشياء بأطراف أناملها وأحضانها.. لمعرفة مقاساتها وأحجامها وتغوص في بعضها لاختبار عمقها وقدرتها على السباحة دون وجل أو ريبة.. كانت قد بدأت تتلمس وجنتيها.. تعرفت على خصلات شعرها.. مررت يدها على جسدها تقيس أبعاده وحدوده.. حتى ألوانها.. أدواتها.. علب مكياجها.. قطعها الصغيرة.. التوكات.. الشباصات.. الخواتم تفحصتها.. القلادة التي تحبها لحد الإيمان لأنها تذكرها بيوم خلاصها من براثن القمع لبستها مثل الحنث العظيم لحريتها القادمة.. حتى.. حتى ملابسها الداخلية.. كل شيء تهيئه لاستقبال الحبيب.. في أحد الأيام كانت تقرأ رسائله التي يدندن بها جوالها بعينين صافيتين بلوريتين اتسعتا لدرجة انعكاس عبارات الحبيب عليهما.. قلت لها:

– يا بختك!

أومأت برأسها وغمازتاها تمطهما ابتسامة مركبة تركيبًا مزجيًّا بين اللهفة والفرح.. علقت قائلًا:

– لو كنت هو لجننت.

فانفرج وجهها عن ابتسامة كاملة.. وقتها كانت أشعة الموبايل تومض وتغرق وعد مع دفء صوت الموعود بهمس تخالطه بحة عذبة وضحكات ولهٍ.. تركناها تحقن قلبها بإكسير الوجود.. لم نكن ننتظر أي تفسيرات أو شروح إضافية، فعندما يبزغ الحب يمسي كالقمر وهو يتحلل من قماطة.. متأرجحًا كبندول ساعة حائطية.. ثم يرتعش قليلًا كأعظم ابتسامة تحتل صفحة السماء الغارقة في سديميتها.. كان الكون قد دشن ميلادًا جديدًا وبدأ بالتصفيق كعادته لأي حالة حب طارئة.. لينطق بلسان معلم.. مجرب مختصرًا العالم والتاريخ والخليقة في حرفين (ح ب) صنعهما الله من لغته وأردفهما بحرفين آخرين ماكنين هما (ك ن) هذا الحب الذي هو لغة الله المعلم الخالد ... يلقي بظلاله الوارفة على قلب (وعد) ليعيد بعثها من جديد ... كانت بتبتل تصيخ سمعها ومنصتة إلى أحاديث الشجن ... تتلمس حرارة أنفاس الحبيب وهي تخترق سماعة الهاتف يبعثها ... تارة مع موسيقى ناعمة أو أغانٍ حالمة لعبد المجيد عبد الله ... منذ ذلك التاريخ الفاصل في حياتها غدت تعشق عبد المجيد عبد الله وهي الذي لم يدخل قبلًا ضمن ألبوماتها ... غدت تدمن سماعة تناوبه مع ماجد المهندس ...

وعد المتعجلة دائمًا تتعود الانتظار هذه من صفات الحب المتلازمة الانتظار المر القاتل الجميل ... فمنذ أن تتلاشى خيوط الشمس الأخيرة تبدأ بممارسة لعبة الانتظار ... الذي يقلب المكان من حولنا ويحيلنا إلى أشبه ما نكون بمتابعين لسباق مارثون ... نتعاطاه بمتعة مع كل شيء حتى قهوتنا المسائية يشاركنا فيها عبد المجيد عبد الله وماجد المهندس.. نشاكس انتظارها بمرح كي نلهب قلقها وعينيها الزائغتين الواجنتين فوق كل الزوايا.. فترمينا بالوسائد والتكايات محاولة إخماد ضحكنا الهستيري ... وساعة ينفد صبرها تحلق بعينيها كفراشة تائهة بين كل الورود الجميلة يلهب مهجتها صوته فلا ينطفئ إلا مع تشقق خيوط الصبح الأول ... يكونان قد أحرقا ذؤابة الجمل الندية والعبارات الشجية وتحررا من فوهة بركانية كانت تنداح باللوعة.. سكبا منها عصيرًا ممزوجًا بدماء ساخنة حتى ضحكاتها التي نسمعها كانت مثل قطعة حريرية ذائبة ... المرة الأولى التي خرجت معه بعد مراوغات واختبارات لملاءمة الأرض التي ستقف عليها هو مساء يوم جمعة.. أراد هذا اليوم تحديدًا ليكون موازيًا ليوم الاحتفال بخروجها من كهف أحزانها وكآبتها ... ذلك اليوم الذي تطهرنا فيه جميعا كان يوم جمعة مباركة حقًّا

... انكشف لنا إبداع الخالق وروعة الخلق ... ونزعنا ما في قلوبنا من غل لأي أحد ... وقدمنا طهارتنا، نورانياتنا، لننجلي مثل كوكبين دُرِّيين فوق هامة الرياض.. وتحديدًا فوق جسر المشاة المعلق في طريق الملك فهد الفاصل بين الجنوب والشمال. فاخترنا أن نولي وجوهنا قبل الشمال، حيث تهب نسائم رخوة تغسل وجوهنا ... خرجت وعد مع حبيبها المنتظر في وقت كان الرياض يمسرح بداياته البارد على ظهر عاصفة سريعة ... وكأنه يلبس المدينة جوارها وحذاءها الذي نسيته مخبأً في أدراج علوية من دولاب الفصول .... يوم خرجت أخرجتنا من مأزق ترددها ولهفتها برغم اغتسالها بماء الحب الدافئ.. تدرك جيدًا أنها لم تعد تلك الفتاة التي تبهرها لعبة إيقاع الشباب في فخ نظرات خبيثة تنصبها مع صديقاتها المتسليات مخلوطة بضحكات ماجنة خلف غطاء الكريب الثقيل.. تلك اللعبة التي يحيكها الفراغ.. وحالات التمرد المؤقتة المتفشية عبر الطرقات العامة والأسواق الكبيرة بلصوصية حذرة.. لم تعد وعد تشك بحاجتها إلى الحب ... وضرورة حصول القلب على شرايين أخرى تضخ إليه المذاق المتفرد بروعته.. تسلخها من الحياة التي تفقد هويتها متى توقفت دونه

مثل مدينة الرياض التي تمارس كل الفضائل والموبقات عدا الحب.. وعد عثرت عليه بلا مواربة أو خشية ... التردد فقط يكمن في اختبار بلوغ التجربة مداها الأقصى لدرجة التوحد.. أخيرًا قررت تلك الساعات بقلب تتجمهر داخله كل المتناقضات واللوعات ... ورأس مزحوم بكل الأفكار كانت قد دشنت ليلتها بحيرة دارت حول نفسها ... ثم جلست أخيرًا تفرز ملابسها مثل فصائل دماء.. ماذا ستلبس للحبيب الأول الأخير؟... علقت أكثر من موديل وأكثر من زي لتقرر أخيرًا بمشاركتك ارتداء جينز خفيف مطرز بدببة وردية وبلوزة وردية بياقة زرقاء وكمين أزرقين.. كنا خرجنا معها بشكل آخر ... باتجاهين مختلفين.. تلك الساعة الحاسمة من حياة وعد أصبح كل شيء قابل للتداول ... خارج حدود مسؤولية... مجردين من الأعين المتلصصة.. هكذا تدشن بدايات أي شيء عندما تخضع لمراقبة دائمة ... ولحظة تجاهلها بكلمة «طز» التي أجريناها على ألسنتنا كرفض معبر وحاسم للابتذال في ملاحقة الناس نكون قد أكدنا حريتنا مع لعق كرات آيس كريم أمام العلن ليتحقق شعورنا بصفاقة كل المتطفلين ... لم نعد مسؤولين عنهم بما يوجب مداراتهم ... حددنا خيوطًا أخرى للمسؤولية وحكنا

منها ثيابًا على مقاسنا ... هل تذكرين يا حبيبتي حكمتنا القائلة (عندما تكون مسؤولًا تكون مثل حصان ملجم يدور حول ساقية بلا ماء).. تجاربنا علمتنا أن الحرية هي الخيط الرفيع الفاصل بين حالتين لاثنين أحدهما مسؤول وآخر حر، أما نحن فأحرار؛ لأن الله لن يشرك معنا أحدًا يوم الحساب ... لذلك لن نشرك أحدًا في مشاعرنا أو أحاسيسنا ... إلا من تحركت قلوبهم لجاذبية الحب ... كما جربت وعد تلك الليلة طبيعة الاحتضان والقبلة الأولى التي ستدون تاريخها في شهادة ميلادها.. في ركن قصي من كوفي شوب آمن حيث قعدوا بعيدًا عن أعين الشك والريبة ... وإن أحدقت بهم فليس سوى كلمتنا المبتذلة المعبرة التي تلقتها وعد جيدًا عن ظهر لسان وعقل مضيء ...«طز»!

Sms

هذا المساء التقينا بروح نظيفة.. فهل توضأت وافترشت سجادتك.. انتظر قبلتي..

كان يوم السبت حامضاً

حبيبتي (وسن) لا يغيب عن ناظريك يوم السبت.. كان يومًا حامضًا متكلسًا.. أذكر حينما رججت الأمكنة والطرقات رجًّا بحثًا عنك.. فلّيت كل الوجوه.. أحصيت الأعين المندسة خلف نقاباتها.. حتى ألوان (المناكير) التي تلمع بها الأصابع البيضاء النحيلة.. كنت ليلتها.. أذكرك تطلينها بلون (فوشيا) من ماركة شانييل.. حتى ذلك الصباح السبتي كان اللون لا يزال مطعمًا بمذاقي وأنت تتمطين ببيجامتك الفيروزية الناعمة.. همست بين شفتيك.. حبيبتي تأخرت عن عملك.. قلت بكلمة متراخية: لا أريد.. وأنت تستجمعين رأسي لتوسديه أحضانك.. كدت أستسلم لغواية ذبولك لو لم تكن وعد تنتظر قريبًا من عقب الباب لتوصيلها إلى جامعتها.. تركتك تتقلبين ببقايا رائحتي ومضيت.... ذلك النهار تأخر صوتك كثيرًا أين كنت؟ لقد بدأ قلبي يغص بالظنون.. ويشرع أجنحة القلق.. هل لأني تعودت منك حينما أتركك تعتلين عتبات مبنى عملك..

وتجلسين على كرسي كاونتر استقبال المراجعين.. وتنفضين بقايا الخمول عن جسدك.. اتصالًا استفتاحيًّا يمهد لاستقبال يوم موبوء بمفاجآت غير سارة.. وأنفاس كريهة.. صوتك يجيء بمثابة اقتران روحي مشابه تمامًا لاقتران (البلوتوث) ذلك الاقتران السحري الذي يخولنا ممارسة لعبة تبادل الملفات مع آخرين في مجمع مطاعم الفيصلية.. نصطاد عبرها كل غرائبيات العالم وفضائحهم مجانًا.. وسن.. تأخر صوتك كثيرًا.. أين هو كي يلاعب أطراف شحمة أذني اليمنى مثل ريشة نعام.. يكفي أنك لم تحقني همتي مع استفتاحية ذلك اليوم بأول كلمة تعودتها منك (روحي قل لي وش فاتني منك) لأقدم لك نشرة مفصلة لكل إحداثيات الطرق التي أمر بها حتى أصل إلى عملي.. أرسم لك مشهدًا متكاملًا للازدحام.. والسيارات المرتطمة حتى بالفراغ في الدائري الشمالي والتوقف على اللاشيء وبلا شيء.. فالناس يقدمون تتمات لنومهم الذي لم تسعه أوقاتهم.. طرقات الصباح المتخاذلة تمنحهم غفوات متتابعة تعويضية بما يشبه خارج الدوام لموظفين منكسرين على عتبات الديون.. تلك التي أثقلت هممهم وأحكمت وثاقهم في كراسي وظائف فارغة أبلت أجسادهم وطحنت أعمارهم لتكون مضغة جاهزة للحودهم

المنظرة.. لا أدري كيف تشجرت هذه العبارات لتنسج فصولًا للموت.. عند الساعة الواحدة ظهرًا.. أحسست بنبض بدأ يضغط على أطرف قدمي اليمنى ثم اليسرى.. تسلق ببطء زهيد فوق عظامي ثم إلى صدري ليعصر قلبي بلا هوادة.. كان الوقت يقفز فوق ظهري كقرد بهلوان.. لا لم تكن كذلك تمامًا ربما أخطأت التشبيه.. بل كانت مثل أجنحة سوداء شائكة تنغرس في عيني.. فلا أرى سوى بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج.. ظلمات بعضها فوق بعض.. أين كنت يا وسن؟ حتى الآخرون لا يعبؤون بلهفة سؤالي.. فقط لم تحضر.. أعلم أنك كنت غائبة اختياريًّا.. بيد أن الغياب طال بما أشعرني بالرعب اللا اختياري.. حتى شقتنا الصغيرة التي تركتها تحت حراسة أحلامك.. ألفيتها تلج بالخواء.. تكرش رائحتك.. وقبلاتك المبعثرة على مرآة التسريحة وأنت تجربين ليلة البارحة بعبث أنواع أقلام الروج.. التقطت واحدة منها.. استطعمتها بطرف لساني مثل كبسولة.. فيتامين مقوٍّ.. بندول مسكن.. خرجت أنحر بسيارتي اللاهثة كل الطرقات المؤدية إلى أرصفتنا التي رسمنا ملامحنا على قارعتها.. حيث كنا كل مساء نعدها عدًّا.. ونحصي ألوانها وخطوطها وتعريجها.. صعلكة اختيارية.. لذيذة نكسر

فيها أنصال الوصايات الفجة.. هذا حلال وهذا حرام.. لم تكوني هناك.. داهمتني كومة سوداء صارت ترافقني تحاول خنق عزيمتي.. تحاصرني حلكتها باستفزاز كلما يممت وجهي صوب فضاء آخر.. أين كنت يا وسن؟.. أنت تعلمين جوعي لنبرة صوتك الصباحية.. افتقاري لحلوى (تووفي) المدسوسة بلسانك ونحن ذاهبان صباحًا إلى عملينا.. صوتك والتوفي وعلكة غندور.. لا تساوي شيئًا أمام الذعر الذي خلط كريات الدم البيضاء بالحمراء وشتت رتابة ضربات قلبي.. الصداع الملعون لا يبرحني.. لبس رأسي كقدم قيحها الركض.. كل الأشياء تتزاحم حتى الهواء اصطك في رئتي.. والمسافات طوقتني كلعبة المرايا الملعونة.. لم أشأ إشراك وعد مع حالة التيه التي تلعب بي مثل خرزة صغيرة في سبحة تسقطها أصابع عابثة بلهاء لا تمل.. توقف أمام (دانكن دونات) هبطت من السيارة باضطراب ينش من وقع خطواتي.. كأني أنثر منها قوالب مملحة للتبخر سريعًا وتعلق رائحتها بمساماتي كرة أخرى.. لم يكن طلبي لقهوة أمريكية معتدلة سوى استحضارٍ لروحك.. ابتسامة صانع القهوة الفلبيني توني الطفولية أشعرتني بفرحة صغيرة.. تحسَّستك تقفين إلى جواري.. تناكبني أنفاسك.. مثل عناية الله.. تتناولين

كأسك من توني الجميل.. وتبتسمين بشكر مغموس بالنقاء لهذا ال– توني الذي أصبح جزءًا من مكونات نهاراتنا الرائعة.. ابتسامته وهو يحكم غلق قهوتنا مثل إشارة تؤكد لنا بأننا نلج صباحًا جديدًا.. وأن الشمس المرتمية وراءنا هي شمس يوم بكر تشبك خيوطها بانتظار مصافحتنا وإضفاء لونها على سحنة وجوهنا وشحن عروقنا بدفئها.. نسي توني هذا المساء وصنع لي كوبين من القهوة.. لا.. هو لم ينس.. هو يبشرني بعلامة لا إرادية.. رسالة تبعث على الأمل أنني سأعثر عليك.. برغم غيابك عن وكرنا السري البديع.. وبرغم جوالك المغلق منذ الصباح.. وبرغم قتامة المساء وأضوائه الباهتة.. وبرغم أنني لم أتلقَّ ال–....

sms

كالعادة.. فأين أنت يا وسن؟!

ستارة لا ترى

كيف أشتت مخاوفي.. والشيطان الرجيم الذي رقص معنا ذات يوم ومشى إلى جانبنا بملل وخمول تشهى لممارسة مهنته القبيحة مندسًّا في أذني باستفزاز ملعون.. جرجرني إلى كل الأمكنة.. أوقفني طويلًا أمام منزل أبيك أعلك الخوف وأمرن عيني المسهدة بغيابك على الترقب.. حتى انطفأت أعين الطرقات إلا من هسهسة القطط الباحثة عن برودة تتمرغ فوقها قبل النوم.. كم حسدتها وهي تتهادى بدعَة.. لا أحد يهشُّها أو يحرمها أبسط حقوقها في ممارسة الحياة.. أو يختطف قسرًا ما تحبه حد العبادة.. التيبس هكذا لم يعد سوى إهدار للوقت.. هل تذكرين يا وسن.. كيف فزعت لشحوبي.. وانهرت بين قدميك ساعة عدت موصومًا بفشل ذريع وسقوط فادح في العثور عليك.. أو حتى معرفة أي معلومة مهما كانت قاسية ومؤلمة تنتشلني من مفازة التيه التي أخوض غمارها منذ الصباح.. ساعة ضغطت زناد الإضاءة كأنني بذلك أزيح ستارة الكون مرة

أخرى.. لتعود الحياة تغمرني بمفاجأة تردم الهوة السحيقة التي حُفرت في روحي.. في غضون عشر ساعات كادت أن تودي بي إلى حافة الجنون.. كأنني كنت أحلم وقتما وجدتك أخيرًا بلهفة زاغ بصري منها.. حدقت بك غير مصدق وأنت تتوسطين السرير متقرفصة.. تدفنين وجهك بين ذراعيك.. وحشرجة هدير يتسرب من كل أنحاء جسدك.. هل تذكرين يا حبيبتي.. المأساة لا تُنسى.. ذاكرة الموت تظل محفورة في أرواحنا.. نحملها عبر جداول وجوهنا.. الحزن.. وقع اتفاقية هدنة معنا.. تصالحنا معه منذ زمن.. فكيف ينكث عهده في ساعة من نهار.. كيف يخوننا اليوم.. الموت..

نعم وحده الموت الذي اكتظت به روحك وأنت تهوين بجسدك بين جوانحي وصدرك يعلو ويهبط ككرة قفز.. وفمك المشحون بأنين.. وعيناك التي أفرجتا عن أودية من الدموع التي ظلت تذرفينها حتى ساعات الفجر وأنت تلتصقين بي.. كنت إخالك قد نمت.. فأتحسس صدرك لأجده لا زال ينبر بالبكاء.. ياه! كيف كان وجهك متفجرًا بكل ذاك الحزن والبكاء والخوف والترقب والمقت.. كيف لكل هذه الألوان أن تضفي مشروعية احتلالها لوجهك الصغير بكل تلك الكلاحة.. قلت لك:

– تكلمي حبيبتي اسمعيني صوتك.. دعيني أحمل عنك.. ألست أنا.. قولي ماذا حدث؟

كانت عينك تتسع عليَّ كبركان على لا شيء قلت:

– النور يجهر عيني.. حبيبي أطفئه.

لا تريدين النور؟ الذي كنت تغتسلين به ليزيد روحك لمعانًا ووجهك نقاءً.. هذا النور الذي علقنا فوقه كل الألوان.. لم نترك شيئًا يترجم طاقته إلا وقد أحضرناه.. زاوجناه مع كل الأصوات والأنغام.. للحب.. للرقص.. حتى حينما نريد استعراض أجسادنا كان النور وحده يمنحنا خاصيته الساحرة.. ماذا حصل يا وسن؟

– ضحى.. انتحرت.. المحاولة الربعة نجحت وأفضت إلى ما تريد.. تريد أن تتخلص من دنس الدنيا.. تتطهر من عارهم.. أولئك الذين وأدوها حية ترزق.. ألقموها أصناف الذل والهوان.. سم زعاف.. أسقوها سمًّا زعافًا مميتًا سرى في عروقها ببطء.. لم تنتظر نهاية الحسم.. أرادت أن تكون شجاعة مثل الأبطال الذين لا يقبلون بمهانة.. أو الاستسلام لبراثن

الأسر.. وعار الهزيمة.. كل شيء خذلها حتى أقرب الناس إليها.. القاضي الذي أصدر صكًّا يمنح طليقها حق حضانة أولادها.. ضرب أول مسمار صُلْب في نعشها.. لم تجد من يزودها بتذكرة نقية لدخول مسرح الحياة.. لا أحد هنا قدم لها أوكسجينًا لمواصلة التنفس برئة نظيفة.. حتى لقمة عيشها كانت معفرة بوحل الإذلال.. كانت تريد أن تبقى على حياد مع كل الأشياء.. حتى تلك التي أوقعت عليها شنارها.. فهمت أخيرًا أن (لا أحد يقدم شيئًا مجانًا) كلهم كانوا يتشهون لجسدها.. في كل قنطرة تقتحمها تفقد شيئًا منه.. لاكتها كل العربات في سبيل الحصول على وظيفة.. داستها كل الأعين المنتظرة دورها لاقتناص فرصتها منها.. كرهت حتى جسدها.. رأته النافذة الوحيدة للوصول.. في مدينة تسبّح الله ليل نهار.. وتكدس الدين في مستودعات الخزن الإستراتيجي.. دخلت أكثر من دوامة قلق.. وأكثر من نفق اكتئاب.. فمن يستشعر روحها المدنفة وقلبها المحطم؟.. ليس سوى طبيبها النفسي.. فهم فحوى معاناتها.. حاول أن ينفح لقلبها ثيمة السلام.. ويغرس بذور الحب.. توخى تحريكها إلى الوراء قليلًا.. ففي الوراء مأمن من الموت ومن الردى.. ومن الانتحار أيضًا.. حاول أن يعيد

إليها جدائل طفولتها.. عقدها لها بسبع ضفائر.. أذكرها.. كانت تقول لي:

– وسن.. صنع لي من دموع عيني عقودًا من الياسمين.. يشبكها بين خصلات شعري.. يمرجحني بعباراته اللذيذة حتى أسكر.. رآني كأنثى وحيدة.. كأن الله لم يخلق في عينه سواها.. صرت أعشق رائحته.. حتى رائحة دخانه (الدوفي دوف)، وعطره (الور).. وطعم قهوته بتحويجته الخاصة.. حتى لون أحذيته.. لا أنسى قبل خروجي من عنده إعادة ربطها بطريقتي الخاصة.. كنت أقول له أريدك تذكرني من قمة رأسك حتى حذائك.. ياه! كيف يصنع الحب من طرف واحد جسرًا من الوهم.. لا يلبث أن يتلاشى مع سطوع شمس الحقيقة.. لم تقتنع ضحى أن حبها له مجرد احتياج لرجل يفهمها.. فلم تنفك من محاصرته.. طاردته حتى بينه.. ذات يوم.. أذكرها طرقت عليه الباب وقدمت له هديتها وقبلته أمام زوجته.. لم تعلم أنها بذلك خطت لونًا أحمر.. قطعت آخر الحبال بينها وبينه.. صارت تترصد له في عيادته.. في المستشفى.. داهمته حتى الطرقات المزدحمة.. غير عناوينه كلها.. سكنه.. عيادته.. عمله.. لم تكف عن التنقيب.. ذات يوم هددت بالانتحار إن لم يمثل

لأمرها بالحضور حالًا.. تجهزت للموت.. قربت إليها ساعتها فما إن تخطت الساعة منتصف الليل تناولت مشطًا كاملًا لمضاد حيوي عالي التأثير.. كادت أن تموت فورًا لولا تداركتها عناية الله.. وفي مرات متواليات كانت تنجو بصعوبة بالغة.. كل شيء أمسى باهتًا بلا معنى.. حاصرتها الفاقة.. حتى جسدها لم يكن كفئًا لتقديمه ثمنًا للقمة عيش ملوث.. الموت وحده يسجل حضوره في الصفوف الأمامية..

أولئك الرجال الذين يأتون عقب كل محاولة من رجال الشرطة أو الهيئة يصيبونها بالقرف.. يعيدونها إلى حقارات الحياة.. ويقربونها إلى الموت زلفى.. كيف يسألون الميت لماذا تموت وكيف تموت.. لماذا لا يسألونه متى تموت حتى يدونوا ميلاد نهايتها.. ويعدون لها حنوطها وكفنها.. ها هي ماتت.. لا قتلت.. وئدت.. من يقتص؟ من يعيد لها اعتبارها.. حبيبي أرجوك أرجوك.. احضني أريد أن أتحسسك بكل حزني.. أتذوقك مع كل دموعي.. أنا أرتجف خائفة.. هل أنت معي أم أنت طيف وأنا في غيابة كابوس؟.. ليته كابوس أفيق منه.. وأطرده بفنجان قهوة مرة.. يا الله.. يا وسن.. كيف تفجرت روحك عن كل تلك الوحشة.. كيف كنت سأعيدك إلى طعم

التويكس والتوفي وغندور وتوني وقهوته الوسط.. وجسر المشاة المعلق الذي يفصل الرياض إلى جنوب وشمال؛ لننتقل منه إلى الحيز الأكثر وضاءً.. كيف سأمرن قدميك على عد بلاطات رصيف شارع التحلية.. كيف.. كيف..؟

عفريت السجائر

كيف سرح بصرك في تلافيف دخان رصاصي تجدلينه من سجائر دوفي دوف؟.. ذاك الذي كنت (تلطشينه) من حقيبة ضحى.. كي تجرديها من رائحة حبيبها.. أفهم أنك كنت تلبسين كفنها وتؤبنينها على طريقتك الخاصة.. حتى شعرك عقصته من الأمام والخلف مثلما كانت تفعل بطريقتها المميزة.. كنت تتصلبين أمام المرآة تتلمسين وجهها في تغضنات الحزن المخيم في وجهك.. لقد بدا شبيهًا بشحوب الأزقة المهجورة.. كنت أراك تنشرين بقايا روحك الرطبة على حبال الأسى.. داخل ظلام دامس.. تحمضين صور الماضي.. وحكاياته في كل ساعة تطبعين وجهًا لضحى إلى آخرها ذلك الذي كنا نراه مطعونًا باليأس.. كانت طعنات الأيام شرسة.. أشد إيلامًا وأقسى اجتراءً وافتراسًا من حدود الأسنة والرماح.. كانت قد أوصدت كل الأبواب والنوافذ سوى الثغرة الوحيدة والأخيرة التي ستنظرها على قيد الحياة.. وهو طبيبها.. على الرغم أن وجهها

كان يحمل نعشها ويؤبنها قبل أن تموت بأيام.. كنا ننقل عزاءها حتى في أحاديثنا الهامشية.. في عبثنا.. في مشينا نريد أن ننسى.. قلت لك بصوت مرتفع وسط اصطفاف الكراسي في مطعم (ستيك هاوس) نريد أن ننسى.. لم يحدث شيء.. ولن يحدث.. حبيبتي وسن.. ها أنت تعبين حزنك مع لفافات السجائر.. هل كنت تبتغين معاقبتي؟! كانت فاجعتنا جميعًا.. حتى وعد تلك المنشطرة على حبيبها بخفة كحبوب (البوب كورن..) التأمت أيضًا على حزن.. احتقنت به عيناها وبكت وأبكت حبيبها.. ياه! كيف كانت فاجعة غيابها ممضة وحارقة!! أحرقت كل أوراقنا التي دونا فيها معاهدة خلاصنا.. صرنا نلذع ألسنتنا بالدخان.. والقهوة السوداء.. كنت ترومين النار والمرارة تتطهرين بهما من ذنوبك التي اقترفتها بأنانية فجة بحق ضحى.. تقولين بنسيج يمزق أوصال القلب:

– لو كنت إلى جانبها في الفترة الأخيرة لما انتحرت.. طلبتها أكثر من مرة أن تبيت عندي.. لكنها تأبى.. متوهمة قدوم حبيبها المنتظر.. كانت تسمع خطواته تقرع بلاطات الممر.. وحفيف رائحته تباغت أنفها.. ونحنحته تسقط في أذنها لتهب إلى عدسة الباب السحرية متطلعة إلى قدومه.. طال

انتظاره وكنت أنا أوقظ بهما نكهة الحياة التي تكاد أن تنسل من بين أيدينا كخيوط ذائبة.. لنلتقي أخيرًا بإرادتين ننام تاركين كل شيء يمور من حولنا بفوضى تعكس ما سقط وتبعثر داخلنا.. أعقاب سجائر مكومة داخل المنفضة وبقايا البيتزا هوت كأنما كنت تكفرين عن موبقات العالم.. كنت ألحفك جسدي.. أتابع عربة الحزن في دمائك.. أغرق جسدك الذي قد آل إلى طيف بدفئي.. كنت أخشى عليك من الانزلاق إلى الفوهة الموصلة إلى القطب المتجمد من روحك في كل صباح وأنت تجتلين على حزنك أمرر أصابعي على معالم وجهك.. أبدأ من جبينك.. إلى حاجبيك.. ثم وجنتيك.. مرورا بشفتيك.. غارسًا طرف سبابتي بين ثناياك أتحسس ينبوع رضابك فألفيه يابسًا.. أواصل رسم ملامحك.. أدور أصابعي حول وجهك جاعلًا من ذقنك علامة ارتكاز.. ثمة انحدارات حادة شكلتها تكوينات الأسى والفراق القاسي حتى اللون الباهت الذي بدأ يرين على سحنتك أتحسسه بأطراف أناملي.. كدت ووعد مثلي أن نسلم قيادنا طواعية لفم المأساة.. فكرنا كيف نسحبك من قاع حزنك الذي يغمرك بسواد مياهه الآسنة هل تذكرين يا حبيبتي.. كم كان الله بنا رحيمًا وكريمًا!!.. فمن أسفل غيمة سوداء تبزغ شمس دافئة..

كانت عبارتك الوحيدة الصافية النقية التي انبعثت من حلقك ذلك الصباح.. مثل لهيب نار تتقد تحت كومة فحم.. هل تذكرين تلك العبارة التي تدخل لأول مرة ناموس الكون.. كانت سماء الرياض على غير عادتها تجرجر أطنانًا من السحاب.. ورائحة المطر القادم يداعب الأنوف إيذانًا بهطول عميم.. سمعت نبرة صوتك واضحة.. لا لبس فيها.. قلت:

– أريد أن أهطل.

كنت تتابعين همسك مفضية لي بسر لا أعرفه:

– حبيبي.. أنت لا تعلم أن مزاج جسدي المتصحر مرتبط بالسماء.. ثمة ما يحرضه لدفق أنهاره الآن.

ياه يا حبيبتي.. كانت همساتك تغشاني مثل عبارات وحي اهتزت لها جوانحي وربت منها روحي.. قلت لك مدوزنا همسي بنفس نبرة صوتك المتقد لهفة:

– أما أنا فمزاج جسدي مرتبط بأديمك مباشرة.. فهو المحرض الأول والآخر له.

كنت أستعيد خارطة جسدك المفقودة.. أفتش فيه عن عناوينه.. أسمائه.. أزقته.. منحدراته.. أقبيته.. أنقب عن أسلحته وذخائره.. لقد أحصيتها جيدًا.. وأعدت ترتيبها وفرزها.. كأنها مدينة قد غادرها الإعصار توًّا.. وكانت مهمتي صعبة جدًّا.. بيد أنها لا تحتمل التأجيل أو الإبطاء.. أعدت خلالها لونك.. وأنبت شعرك.. وأعدت تخليق عجينتك.. ونفحتك شيئًا من أضلاعي كي تقوّمي عوج أيامك الخوالي.. نفخت فيك من روحي.. وجعلتك أنثى سوية.. ذلك الصباح أحسسنا برغبتنا للعودة لوطننا.. الوطن الذي يركب الآن باخرة المطر ويخوض عباب السحاب فيمطرنا.. ولكي نكمل عدة التكوين أشعلنا خلايانا بأغنية فيروزية هادرة.

ياه! يا وسن كم كنت وقتها تشرئبين للحياة!! منذ اللحظة التي بدأت فيها تستأنسين لذة النوم الذي شرع يقلدك وسام براءة.. براءة طفولية.. صار يهدهدك بين أحضانه مثيرًا رغباتك للحياة من نوافذ الحلم التي سيكسر لك مزاليجها الصدئة وترين ما لا عين رأت..

Sms

فرصتنا حبيبي أن نتمنى الآن.. والسماء تمطر.. عجِّل أرسل كل أمنياتنا.. دعها تبرم اتفاقًا مع الغيث.. وعد سريعًا.. فبقاياك لا تزال هنا..

تباريح وسن

يا ولهي ومذاق العذوبة المنطبعة في كل الحيطان.. حتى الهواء السارح من حولي هذا الصباح.. يا وسني الحاضر في رائحة قهوتي الصباحية.. الماثلة في صوت فيروز.. في أسئلتها التي تشطرني إلى نصفين:

سألتك حبيبي.. لوين رايحين؟

خلينا خلينا.. وتسبأنا سنين!

إذا كنا عا طول.. التأينا عاطول

ليش بنتلفت خايفين؟!

لا أدري لماذا هذه الأغنية تدنيني من الخوف الحزن العميق يفترش قلبي.. لم أقدر وأنا أرتشف بواكير قهوتنا المرة (illy) إنها الارتباط الأخير بنا.. تلك التي تورطنا بمذاقها الصعب.. بوصية صديق طقوسنا النهارية (توني)، فمنذ التقطناها من الرف

المخصص للقهوة في أسواق التميمي.. وهي تحاصصنا شهوتنا للحياة.. واليوم تحاصصني ذعري بتلبس كامل بأغنية فيروز.. سألتك حبيبي لوين رايحين.. يتمايل صوتها وأترنح بألم وحسرة.. هذه الأغنية تصر على حضورها منفردة.. لا تبرح تغرس أنصال غربتها ووحشتها.. تخلق لي وجهك بحالاتك كلها.. بألوانه.. بمذاقاته ونكهاته.. تفشي رائحة عطرك حتى تسكرني.. فأسقط أعب من كأس الوجد ورحيق المعاناة السامة.. كان ذلك اليوم يدون تاريخه المر في روزنامة حياتنا لأول مرة التي انتصبت مثل اللعنة بسفور طاغ.. كان إجابة محددة ودقيقة وصارمة على كل أسئلة فيروز الواردة أعلاه.. كأن ذاك المساء يحيك لنا كفنًا على مقاس دوختنا ونحن نرتشف شفاهنا كفناجين قهوة.. لم نكن نتحين موعدًا محددًا لإياب وعد.. وكنا كذلك ساعة اهتز الصفر منجبًا كل الأرقام الكبيرة كلعبة اليانصيب تأخرت وعد.. الساعة تشير إلى الواحدة.. لم تعد منذ الصباح.. كنت تقولين وأنت تفركين أناملك وتملئين لوحة أرقام جوالك بكل الأرقام ذات الصلة القريبة والبعيدة:

– على الأقل تتصل.. أكيد حصل لها مكروه..

وهذا الأكيد هو ذاته ما توصلنا إليه عقب الساعة الثانية صباحًا.. دلقته زوجة أبيك عبر الهاتف بلعنات كالسكاكين اخترقت أذنك حينما قالت:

– تبحثين عن وعد.. اسألي أخاك الذي يبحث عنك أنت لقتلك.. سأتخلص منك للأبد.. لقد بليتينا بعار استهتارك.. أين أنت؟.. هاه! هاربة مع من؟ ثم تعالي قولي لي من هو هذا السامر الذي تتسكعين معه دون رقيب وحسيب.... الحمد لله أن عثرنا على وعد قبل فوات الأوان وتفضحنا.. أما أنت فلك حساب آخر..

لم تقتنع بكل ما أخبرتها به.. هي لن تعترف بزواجنا بل أكملت صارخة:

– الحمد لله أننا لحقنا على وعد قبل أن تقع الفأس في الرأس.. أما أنت فانتظري قدرك الأسود يا فاجرة.. لقد جاء أخوك خصوصًا.. ليغسل عارنا منك.. كم كنت أنتظر هذا اليوم.. وها هو.. الآن أراك أمام عيني ميتة.. ميتة.. ميتة..

زحفت كل الأشياء من حولنا كأياد طويلة تروم خنقنا.. لم تعد نبوءة فيروز تقدح زناد مقاومتنا للحيرة والتشتت اللتين شكمت عروقنا بمقابض حديدية..

سألتك حبيبي.. لوين رايحين!..

خلينا خلينا.. وتسبأنا سنين!!!..

إذا كنا عاطول.. التأينا.. عاطول..

ليش بنتلفت خايفين؟

إلى أين.. هل سنفر من وجه الطاغوت مرة أخرى.. أم نقف مثل نخلة تأبى الترحيل أو النقل من تربتها.. قلت لك وأنا أطوق روحك المبعثرة:

– لا تخافي ولا تحزني إن الله معنا.. عقد زواجنا سيحل عقدة المشنقة التي تُنصب لنا الآن.. لن أسمح لهم باقتلاعك مني.

قلت:

– هذا العقد لا يفي بقائمة المتطلبات.. كي نصبح كاملي الأهلية.. حتمًا سينتزعونني منك.. لنهرب حبيبي.. ستتكالب الدنيا علينا.. سيحكم القاضي فورًا بفصلنا ويوقع عليه بحبر بارد.. وهو لا يدري أنه سيقتلنا صبرًا بدم بارد..

بتنا تلك الليلة بالجي الأعين مثل محكوم عليه بالإعدام ينتظر جلاده كي ينفذ فيه ما خُط في حيثيات الحكم.. التأمنا بجسدينا نتغذى منهما عبر توترات قبلة وداع طويلة لم نشأ تسميتها الأخيرة.. بانتظار ساعة الحسم.. كانت تلك الليلة مشهودة بك.. هكذا قررنا.. أن نمسح سبورة الآتي من مستقبلنا.. بشقاوة تلميذ ملَّ الأسئلة والشروحات المطولة.. فقط خشعنا نحتفل برائحة الندى المتضوع من جسدينا.. كان العصفور الذي يضرب بجناحيه الصغيرين مذعورًا.. لم يحلق.. لم يغرد.. لم ينقر أغصانك بحثًا عن لذة موءودة.. وهل يمارينا الخوف لنستمريه هكذا نبع سؤالك كماء زمزم الذي سح من تحت قدمي الرضيع العطشان.. كنت تحاولين قدح زنادي من جديد.. هل أحتمل هذا الانتظار.. لم نستشعر ليلة راعفة

بالرعب مثلها.. وإن كان ليكن.. لن أتركك.. سأمووت دونك.. سنحارب.. ليلقي الله سنته قليلًا أو يوقظ ملائكته كي تغشانا بنفحة طمأنينة.. قلت أنت ملاكي.. لحفني بكلك.. هل لم أعد كلك.. لا تتزحزحي إذن.. ياه! كيف تؤرخ الكلمات حكمتها في لوحها المحفوظ.. ساعتها تضمخ قلبي ببواكير روحك الشفيفة.. فهدرت منها كل مفاصلي.. ونتحت من مساماتي رائحتك.. أمطرنا ورودًا وتفجرنا ينابيع.. وسالت أنهارًا.. وغرد العصفور بانتشاء.. ليس إلاك يمطرني.. يفجر رعودي.. ويشرخ سمائي ببروق لامعة كالنياشين.. ارتشفنا كل شيء فينا.. حتى سلافة المتعة الصهباء المستكنة بين حلمة أذنيك وأنا أوشوش لك.. قلت بنبرة يأس وانكسار:

– ستظل أبدًا مكمن روحي.. وسر بقائي.. لن أبرحك حتى النفس الأخير منك سأنتظرك أبدًا على ناصية زقاقنا الذي عبدناه بالوجد.. أنا متسكعتك الوحيدة وأنت صعلوكي الأخير.. ألن نشرب نخب الحياة.. الضاربة فينا منذ أبينا آدم.. وأمنا حواء.. فلا يفهم لغز توحدنا في كلّ وانشطارنا في كلّ أيضًا سواهما.. لأنهما الوحيدان اللذان جربا ما تفردنا به خلسة.. أجبتك راعفًا بالقهر:

وسن الحبيبة.. سأكون لك ما يلمع وسط غابة من القش.. حتى وإن كنت فأنا أبصرك بأطراف شراييني موترة بالآتي المعلوم، دعي ضفيرتك المعقودة على شكل زنبقة تشهد مقامنا الأبدي.. فهي لا غير ستدون تاريخنا الضاري.. كما ستختزل المسافة الفاصلة ما بين قشعريرة الخوف ورعشة الحب للتلاقي..

حملنا شغاف قلوبنا بين رموشنا.. نعبد بها بقية الساعات القادمة باستفزاز.. توسلت لك أن تنسي.. قلت لك: لنطأ أي قدر يصوغه الوقت المأزوم بتؤدة.. ياه! يا لأنفاسك الرطبة! يا لدموعك الساخنة! كم ألهبت صدري! وصوتك المتهدج وأن تطلقين عبارة احتجاج عريضة: نحن لم نأكل التفاحة المحرمة.. لم نهرب صرخة اللذة من جسد الحرام.. نحن زوجان مباركان.. قلت: من يفهم.. كل ما لدينا ورقة مغموسة بحبر لن يعيروه بقية اهتمام.. لن يروا كم أرقنا من لوعات وكدسنا من كلمات وطوينا ترقبنا عبر كل محطات الانتظار.. قلت لك: وسن حبيبتي لننس.. اطلبي المزيد مني حتى الرمق الأخير مني وستجدينني الملاذ الظليل الممتد من شجرة الحياة إلى أخمص أصابع قدمك اليمنى.. ثقي بي تمامًا.. كما أسلمتك عصب جسدي سأقدم روحي.. حتى.. كدت أبتلع أناملك الرقيقة كطرف سهم وأنت

تضعينها على شفة الكلمات المحمصة بزيت التعبئة الكاملة لمواجهة الغد. كانت اللكمات التي تلقيتها أسرع من قدرتي على المقاومة، كانت كافية تمامًا لإسقاطي تحت رفسات أقدامهم.. حتى غامت الأشياء من حولي، والتقط ملمحًا أخيرًا لك وهم يشدونك من ذراعك بعنف، لم أطق رؤيتك تُصفعين.. أغمضت عيني وغبت عن وعيي بسلام.

رزية الفقد

– حبيبي.. مهما سحلوا وجهي من أمامك.. وانتزعوا عروقي الناشبة في شراييينك.. سأقعي عند أي محطة انتظار مقابلة لنافذة روحك سأنتظر لن أتزحزح.. سر بجسدك حافيًا نحوي ودع عصفورك ينغم فرحه.. ولا يلتفتن إليك أحد..

حبيبتي وسن.. يا لذاك الفجر الذي دلف يبلل أنفاس الصبح بندانا.. كأننا كنا نتواعد للمرة الأولى.. نفتض قبلاتنا البكر.. كانت بمذاقاتنا كلها.. رحيق أسكرنا.. بلا انتظار لما سيأتي من بوابة الصبح.. سَحَنَّا كل المشاعر الرديئة.. خلعناها من رؤوسنا مع آخر قطعة تسترنا.. امتزجنا كقالب سكر في قهوة اكسبرسو مرة.. ورحنا نتحسس آخر مذاقاتنا.. سلافاتنا.. كنا نسكب أرواحنا في كبسولة واحدة.. نخبئها إلى حين موعد بدأنا ندونه في أجندتنا.. لا أدري كيف تلاشيت.. تبخرت.. هل كنت أحلم.. هل كنت معتوهًا عاد إليه رشده..

أو مخمورًا أفاق توًّا من سكره.. لا أدري كانت آخر كلمة أسمعها منك.. أن حكيت لي مشهد ولادتك قلت:

– كانت أمي تتمنى لو كنت صبيًّا.. تفحصتني وأنا أمر من المضيق المؤدي للحياة بالعلامة الفارقة للبهجة.. كانت تلوي عنقها برغم الإجهاد الشديد التي تمر به.. والعرق الذي يغرقها تتفقد ذاك الشيء الذي سيهتز معلنًا أهميتي.. لم أذكر أني بكيت.. هل بكيت! لعلني ربما نسيت.. كم أشفقت على تلك المسكينة المنتظرة لذكر.. لم أكن تلك المطرقة المنتظرة التي ستهد بها الزمن.. كانت تلعنني حتى ولادة أخي الذي تولى إدارة اللعنات نيابة عنها.. كنت ووعد نمثل بين يديه كقطتين أليفتين.. قد تمرسنا على امتصاص غضبه.. أحيانًا نضرب رؤوسنا بالحائط نيابة عنه.. كي يغفل عنا.. هذا الغائب المنتظر لسحقي.. لن يأبه لموتي بين يديه.. ومن الحكمة ألا أموت.. فهذا سيريحه إلى الأبد.. سأذهب إليه مشيًا أحمل كفني.. أريد أن أبقى لك حتى لو قشروا جلدي.. فروحي معك.. سكتِ.. وسكت.. لعلنا أخذتنا سنة المحاربين.. فمررنا من أعقاب الصبح الذي انتزعك من بين أحضاني متخففين.. لا أدري كيف تركتك ترحلين.. لا أدري.. لا أدري.. ربما لأنك تريدين أن تحيي لي وبي.. ولأني لا

أريد لك مقارعة الطغيان.. أو أن يمسك شيء من العذاب.. تركتك تتبخرين كحلم.

Sms

حبيبي.. سأكون قريبة.. عند أولى عتبات الناصية التي تصلني بك.. فانتظرني هناك بلا تلفت.. سأكونها الواقف بنصف حيرة على شرفة الترقب.. لخطواتك المتدحرجة نحوي.. سأمسك بمعصم قلبك لنكمل مسيرتنا بلا تلفت.. لك وحدك أسمع وأرى.. فلا تحزن.. إن الله معنا انتظرني.. لا تقلق.. سأبعث لك..

انتظار ما لا يأتي

ودي أبكي.. نسيت أني منذ رحيلك وأنا أبكي.. ياه.. الأماكن استنزفت صهاريج دموعي.. صفت دمي تمامًا.. والله ودي أبكي.. حتمًا تعرفين أنني أقتات من أرواح الناس معانٍ للبقاء ومعانٍ أخرى للفناء.. تبقى الأماكن وحدها الحبال السرية التي تضبط إيقاع الوقت كي لا تنزلق قدمي إلى منحدر وعر يقودني للنهاية.. يكفيني وعدك بالاحتباس لي وحدي.. يا لروحك العظيمة.. اليوم رأيتها تطوف بي (لفتة وطيف ابتسامة مثل فجر خجول).. ندمت كثيرًا أنني لم أهرب بعض قصاصاتي إليك.. أنا أملك كل بقاياك.. وضعتها في أماكنها الطبيعية.. أنثرها في الليل وأرتبها في الصباح.. أرسم قبلتك الصباحية على مرآة التسريحة.. أمرر وجهي على كل أرصفتنا.. مراسينا التي تتوزعها مقاهي شارع التحلية بسواسية.. كم لوعني محمد عبده وهو ينشج بصوته الحزين بدمعة ناشبة في عينه اليمنى:

الأماكن كلها مشتاقة لك!

والعيون اللي انرسم فيها خيالك!

لا أنام حتى أغطس في وحل البكاء المر.. ليس لي من هزائم سواك.. لقد اكتشفت خوري وهزالي أمام استسلامك.. لم أهربك إلى جزيرة نائية.. ألجمتني حينما قلت باستسلام:

– أريد أن أبقى لك.. لأني سأعود حتمًا في النهاية إليك.

حزني عميق.. حفرت أخاديده وتفجرت ينابيعه منذ رحلت.. أصبحت بعدك غابة معروشة بأشجار زقُّومية.. بعدما كنت تخلقين لي كل صباح فراشات من القبل.. اليوم أتيبس داخل إطار لا أبرحه.. حتى ملابسي التي توقفت عليها عينك في آخر لحظات الوداع لا أخلعها.. فكرت مليون مرة ولا أزال كيف أصلك؟! قولي لي ما هي الطرق التي تقربني من أنفاسك.. حتى لو كانت طويلة.. ووعرة.. فسأمشي إليك حافيًا.. أكفر عن خطيئتي برحلة حج طويلة تصلني بالنهاية إلى مشارف رموشك.. بدأت أفهم أن عالمنا حذاء قذر كبير يدهك كل ما

يمر به.. لذلك لا يجب عليَّ الانتظار والتخشب في مكان واحد.. كنا مشغولين بتصنيع قلب على مقاس العالم.. لم نكن نبصر كيف يقعي البشر هنا في خمول وكسل واستسلام يربطون حذاء العالم القميء.. لا يسعني اليوم سوى تصفح أوراق تعاستي وتعاستك.. تدرين يا حبيبتي؟ أمي تلح بالتعجل في الزواج.. تريد التقاط ملامح ابتدائية لنطفتي سارحة على الأرض.. قلت: لن أتزوج.. لن أبحث عن جسد أشحنه بأرواح لا تنتسب إلى قلبي الذي ناصفتك إياه.. أريد القدر كاملًا بك خارج لعبة الصدف، لنبدأ من بقايا عطرك الملتصق برئتي.. لن أترك للوهم حيلة، ولا للمسافات البعيدة سيادة، لن يبقى للظن وجع، ولا للشوق المعزز بفقدك عذاب.

محاولة للتعافي

حبيبتي وسن سأدع للتفاصيل حرية تركب كل مشاهدنا الحية، وأنت هناك في البعيد لن أشحنك بالوجد والفراق.. ولن أفتش عما يخصك.. لن أكون مثل كلب بوليسي يجر أنفه خلفك.. لأن قدري مدسوس في حقيبتك اليدوية الصغيرة.. تحملينه معك أنى اتجهت.. حتى وإن صار مثل عوسج قديم يكفي أن تتلمسيه بروحك لينمو بفراعة شجرة عتيدة.. تدرين يا وسني يمكن.. أقول يمكن.. لو بطأت الرحيل.. لما حدث كل ما توقعناه.. ولتخففنا من رزم جراحاتنا.. ها هي صورتك التي كبرتها على مقاسك تمامًا.. تناجيني.. تغسل جنبات روحي التي أحسها تنفطر.. لا بل تنتشع.. عندما أراك أحس أنني أعود إلى شكل الحياة..

تدرين! قبلك كانت لغة الموت تعادل الحياة، ومعك الحياة تعادل الحياة، وبعدك الحياة تعادل الموت.. منذ رحلت

وأنا أحيا بشخوص أخلقها.. أمسرحها ثم أنزلها لتتناول معي(الفاهيتا) وجبة غدائي.. اللقمة الوحيدة التي أضعها في فمي يوميًّا.. فقط لأنها العادة الوحيدة التي لا تقبل التنازل أو المقايضة..

سأكون.. أنا.. كما عهدت صعلوكك.. مجنونك.. بكل الغرائب والمتناقضات.. تدرين حبيبتي.. سأكشف لك سرًّا.. بعد رحيلك اتخذت قرارًا بالعودة إلى طفولتي.. كي أمعن في صدودي عن أي إغراء أنثوي.. استخدمت بقايا القلب.. والجًا بوابة الماضي الخلفية.. عدت إلى بنت الجيران (عزيزة).. أفقت تلميذًا في الصف الخامس الابتدائي.. الوقت عصرًا وخدي ملتصق بالأرض.. أراوغ بعيني الخبيثتين سروالها الأخضر المخروم باحثًا عن كتلة صغيرة تشبه قنديلًا بحريًّا، فتثير ألف سؤال مشذب ينحر دماغي.. أغرق بملح عرقي وأهطل توقًا للقائها صباحًا، أناكبها وهي رائحة إلى المدرسة أو راجعة منها هذه اللذة الفطرية الأولى.. استكملت غرس بذورها في جسدي الصغير لأغدو معك متحفزًا لكل مفاجآتك اللذيذة.. حبيبتي أنا الآن أرتعش.. أطرافي باردة.. أسمعك تنادين.. صورتك تنطق.. تدوخني.. تناديني حبيبي.. حبيبي: ملعونة.. ملعونة..

ملعونة... كل الساعات التي تلبسنا قحفية الرجل المسؤول.. فلن أكون هو.. سأظل التلميذ المتلصص.. بعدك كل شيء يتوقف.. لن أكون مثل ذاك الموظف النشيط يهرول بين المكاتب لإنجاز المعاملات المتأخرة.. زوج المصادفات.. وأطفال يتناسلون من الفراغ.. جملتك الأخيرة أجمتني.. (سأكون لك وحدك.. انتظرني سأعود) يا.. اه اه اه اه اه.. حريقًا أحسه يجوب أزقة قلبي باحثًا عن شريان لم يحترق بعدك.. تدرين يا قلبي.. صرت أمرن جسدي على الحياة كي لا ينكمش.. أصب عليه زيتًا متقدًا.. ألف حوله يدي لأتحسسني مثل شجرة أغصانها لم تجف بعد.. تدرين.. الغياب موجع جدًّا.. موجع جدًّا والله مثل أشواك.. لا أشد.. قضيب يكاد ينصهر بالنار.. لا أشد.. أنياب فتاكة.. أشد.. وجع يتحرك مع النبض باستفزاز وشراهة عبر كل الأوردة والشرايين وحتى خلايا المخ.. دفقات أليمة حد الإغماء لا تنتهي.. معك كنت أسجر أطرافي لأتحسس رغوتها.. أكشف لك بئرًا لا يزال يخبئ ماءه.. طفقت تنتابني هواجس.. أسئلة لم أفطن لها إلا مع هذا الخواء.. من أين جئت لي أنت.؟.. أخبريني سأعترف.. لك بشيء.. اتصالك الأول شق نواتي.. أحدث صدعًا.. عميقًا تسلل منه نور

أسود.. هل ثمة نور أسود.. هل رأيت نورًا أسود قط؟ أنا رأيته ينسل من جسدي.. هل تعرفين ما هو؟ أو كيف أتى؟!.. أقول لك.. هذا النور الأسود هو قيح الشفاء.. أو بواكير التعافي.. ألحق به صوتك في اليوم التالي خيطًا من نور مائل بين الرمادي والأبيض.. وفي اليوم الثالث نور أبيض ناصع.. لذلك سألتك مرارا: هل سحرتِني؟ ليأتي سحرك مبطلًا لسحر قديم ملعون متمكن.. قديم بقدم الحزن.. آه! آه! آه! يا حبيبتي.. كم أشتهي احتضانك.. أشتهي أن أبكي بعنفوان رجل يأبى أن يمرر البكاء خيوله بين جفونه.. أتوق إلى معانقتك.. شهيق بكائي محبوس في قفصي.. الآن لا أحسن سوى البكاء هل تفهمين.. أكرر ما قلته لك بصوت عالٍ: ألعن الساعة التي أستحيل فيها إلى موظف يعشق تقديم الاعتذارات الصباحية.. أو زوج امرأة الصدفة.. وأطفال يتناسلون من الفراغ.. (ليس إلا أنت).. حبيبتي.. لقد فتنني غيابك.. آه.. آه.. أدرك أنك تملكين مثلي قلبًا مملوءًا بالشجن.. لو حكيت لك سنة تلو سنة فلن أنتهي من البكاء بصوت مكتوب.. أذكر يوم قلت مجازًا: بيني وبينك (بَين) لو انصهرنا فيه أكونكِ وتكونينني.. وها نحن ننصهر في عمق هذا البين.. الآن فقط عرفت أي نبوءة تدفعني لكتابة

هذه الرسائل.. لن يخيب ظني بتاتًا.. حتمًا ستعودين لأنني آمنت بالحب كما آمنت بالله رب القلوب.. أنتظرك!

اعتذارٌ أخير

حبيبتي التي بعثها القدر ذات يوم تاريخي مجيد، حاملة رسالة الغزاة الفاتحين لمدينة القلب المهجور، بأبيات سحر تراقص ضياء الوسن.. هل ستغفرين.. وتعودين من طرقات النأي والجحود.

ليت كلمات الليل.. تحرق وجع الإحساس بالخطيئة.. بعدك لم تعد الحياة مترعة بنزق الأطفال اللذيذ.. لذا لم تعد تتحلى بفضيلة البقاء.

آه.. ليت أنفاس الصدر الكظيم.. تلبس جلباب الحكمة.. فتنطق.. ليتك أيها الشاعر المغرم صبابة بلهفة القلم، وجرح العبارة الدامية.. تغرف من شواظ عزيمتي المجللة بالأسى عنوانًا لقصيدة قادمة.. ليتك أيها المبدع.. تمسح عن دنفي ركوة الوجع ورائحة الكفن.

حبيبتي التي لم أتشبع منها كطقس خرافي مثلما قرأتها في إيوانها وصحافها؛ قطوفًا دانية.. ألتمس شفاعة روحك إلى قلبك.. كم عفرتني الرذيلة بجناباتها، يوم نذرتك لرياح العهر والضلال.. تذروك كهباء وترحل بك بعيدًا بعيدًا، إلى حيث تقطعت بك الأسباب وتبعثرت كل السبل الموصلة إليك.. كم كنت جاحدًا.. لم أقاوم.. لم أشرع صدري دونك حتى لو سحقت آخر عظمة من فقرات ظهري.. مثل هذا الجحود شكل خميرة المدينة التي تسلل منها الحب عبر أبوابها الخلفية.. لم يبقَ سوى الموت المنتفش من هزال الأرواح المسكونة بالوحشة.. والذعر.. الموت الذي يكور تخومًا للسكون.. ويرسل جحافله مثل كتيبة تحر تدشن ملذاتها برقصة استفتاحية على ترنيمة القلوب المقفرة والرؤوس الخاوية..

بات انقطاعك.. موغرًا بالبكاء حد اليباس.. اليوم.. قررت فضح ما توارى خلف عباءة الاستبداد والقمع.. سأتلو شيئًا من آيات حبنا الأسطوري في مدينتنا الميتة.. كيف أحيينا عظامها النخرة.. وغرسنا جذوعها الخاوية.. يا لهذا القلم كيف غدا عصيًّا على البوح.. هل جف هو أيضًا من رعدات الخوف.. منذ رحلت لا.. أقصد اغتصبت مثلما تغتصب كل

نساء المدينة بأوراق صفراء باهتة.. وأنا أتلجلج بالعبارات التائهة.. لم أبرح الحرف الأول.. في هذه اللحظة هويت مكبًّا على دنفي أمرر قلمي.. أتخطف تفاصيل وجهك الذي لوحه التوق بتجاعيد الغياب.. إليك يا.. (وسن) آهة معبأة بك..

آه.. تذكرت.. قالت لي أيضًا قبل غيبتها المفاجئة تلك التي شفّتها عبارتها الأخير.. (الملائكة أيضًا تموت) حيث وضعت النقطة الأخيرة في السطر الأخير من كتاب القرن الأول والأخير.. اليوم يرتجع صوتها مثل دخان يتقاطر من مدينة الضباب.. هناك كانت تقضم ألواح شهر العسل.. سمعته يئز في أذني من سماوات غيابها المترع بالمفاجأة والذهول روحها المعبأة بروحي قالت: اكتب سيرة الغياب.. الجحود الأولى.. لتكن فاتحة لنهاية الوجع.. اكتب هزيمة الحب أمام جحافل المردة المجندين لإحراق مدن القلوب الخضراء.. اكتب رسالتك الأولى عن لاآتك.. لا ترحلي.. لا تتركيني.. لا تذعني.. إذن لا تنسني.. اعترف؛ فالاعتراف بالهزيمة هو انتصار للروح.. انتصار على الوجع.. انتصار أيضًا على اللاآت الفارغة.

لقد قررت في مثل هذه اللحظة من بداية قرن العذاب أن أكتب بعدما فكرت.. انتظروا قرب المسافة القادمة للتوطئة ثانية تجمع بين أرواحكم الشفيفة وقلبي الذي لا يزال رطبًا بخمرتها.. انتظروا سفر الفاتحة الثانية بلا بسملة. ها أنا أفترش سجادة صلاتي.. أعلم الآن أنك ترفعين أكف الضراعة كي تعودي.. ليقضي الله أمرًا كان مفعولًا!

اقرأ الآن إصدارات الكاتب

محمد المزيني

في دار بسمة للنشر الإلكتروني

دار بسمة للنشر الإلكتروني

دار مغربية، رقمية، تأسست في 2017

دار بسمة للنشر الإلكتروني من أهدافها مساعدة الشباب المغاربة والعرب على نشر إبداعاتهم، وإيصال أصواتهم وتغريداتهم إلى العالم كله، كما تطمح لاكتساح عالم النشر الإلكتروني في كل الأقطار العربية..

كما أننا –في محاولة منّا لتغذية شريان الثقافة– نسترشد بالضمير الحي من أجل نشر المحتوى الثمين، حاملين على كواهلنا رسالة التنوير الحقيقي، ومدركين كل الإدراك لقيمة القلم النبيلة، لذلك كنا حريصين على نشر كل ما هو قيّم. في دار بسمة للنشر الإلكتروني نساند المؤلفين وندعمهم لإيصال إبداعاتهم لملايينَ من القراء، ونرشدهم إلى آليات فنية تعينهم على تحسين أساليب الكتابة والإبداع. وتقريبا لهذه الغاية تقوم الدار بتنظيم مسابقات متعدّدة، والإشراف عليها مجانا من أجل اكتشاف المواهب الشابة التي تستحق أن تُنشرَ أعمالُها بينَ القرأَةِ والمثقفين، وذلك تشجيعا لهم على الاستمرارية في الكتابة الإبداع.

هـذا العمـل الإبـداعي برعايـة داربسـمة للنشـر الإلكتروني
بشـــراكة مـــع جـــروب ملتقـــى الأقـــلام المُبدعـــة...

للاطلاع على الصفحة الرسمة لداربسمة للنشر الإلكتروني على الفيسبوك، اضغط على الأيقونة.

للاطلاع على جروب ملتقى الأقلام المبدعة على الفيســـبوك، اضـــغط علـــى الأيقونـــة.

المحتويات

النبوءة الأولى 6
جبروت 13
ممارسات شهية 19
اعتداء 20
شهادة وسن 21
وجع 23
يوم آخر 27
ضحى 30
شهادة ضحى 33
عدنا إلينا 38
ليس معنا سوى حريتنا 40
رسالة وعد 43
الحكاية 45
متلازمة الحب والحرية 48
مقاومة 50

أيام بلا تاريخ 55
9 61
ذاكرة يوم الثلاثاء 68
كان يوم السبت حامضًا 77
ستارة لا ترى 82
عفريت السجائر 89
تباريح وسن 95
رزية الفقد 103
انتظار ما لا يأتي 106
محاولة للتعافي 109
اعتذارٌ أخير 114

نكهة أنثى مُحرّمة

(إلى الحبيبة الأولى.. الأخيرة.. برغم الخوف)
رسائلها.. رسائله

سيدة الديتيلز هل تذكرين؟ يغريك هذا الاسم الحركي الجديد صرت أناديك به حيث التفاصيل التي تنبجس عن روعتك ...هنا يكمن سرّ تكدسك بكل الأشياء الدقيقة ... حتى حالة فورانك وأنت ترتكسين في استعراض فاحص ومتأن لكل أشيائك الدقيقة.

(الديتيلز) لا تبرحينها حتى تفرغي منها تماما ...كم كان يقززك الطَّرق المصنعي لمشاعر الأنثى .. ارتقاء الجسد الخاطف يقرفك أيضا ... يعجل بموتك ...ابتسار اللحظة يحولك إلى شيء منتهك.

حبيبتي انغماسي بك و(بديتيلزك) منحني وساما ذهبيا لامعا ولا مرئيا أطوق به رقبتي ... قلت لي: أنت المحمية الأخيرة التي ألوذ بها كهاربة عن أعين المتوجسين ... الشكّاكين .. لن يعثروا علينا ما دمنا نُخبئ تعاويذنا في أزقتنا ... نهرّبها داخل منعطفات هذا العمر المجيد بي وبك... الأزقة تلك التي خلقتنا من جديد وصورتنا في أحسن تكوين ..